الفصل الرابع

مواجهة التغريب

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الرابع

مواجهة التغريب

يخطئ خطأ فادحاً من يعتقد أن سلوكيات الأمم يمكن أن تغتال بعاديات السلوك، سيما إذا كان رصيدها الثقافى ينبوعه (قرآناً عجباً يهدى إلى الرشد).

المد الإسلامى يأبى تقليد الأجانب:

نحن قادرون على الصمود حتى يأتى الجيل المنشود الذى يستطيع أن يحقق لنا النصر، فالدولة الإسلامية إذا كانت قد توقفت عن المد السياسى فلا يعنى ذلك أنها توقف أو تعثرت فى الميدان التربوى والسلوكى، فدأب الحضارات أن يعتريها موجات من المد والجذر ولا تستثنى حضارتنا من هذه الظاهرة، طالما فرطنا فى الكتاب من قبل.

وتشهد السنوات الأخيرة مداً إسلامياً مترامياً متنامياً يدعو كل من أدبر وتولى، فظهرت موجات ثقافية تدعو لعصمة أمرنا، تلقى تجاوباً صادقاً من كل صاحب حاسة إسلامية، وهو ما فجر الإحساس بالاستغناء عن الغرب، وأصبحت عملية البحث عن الهوية الحضارية الإسلامية تكون أساساً نفسياً للاعتداد بالنفس، فبلاد العرب ليست جزءاً من أطلس الغرب، تتأثر بكل ما هب ودب، سيما بعد أن صارت الديموقراطية الغربية مرتعاً خصباً تأوى فى أحضانها عصابات المافيا

obeikandl.com

ونوادى العراة وأصحاب الشذوذ والمسلكية التى لا تمت بنسب إلى مسيرة الرقى.

فنحن فى دولة المرابطين وعلى أهبة الاستعداد لصد كل سلوك وافد لا يروق، بفضل العقيدة القوية التى تزلزل الجبال والقيم التى تشحذ الهمم، وهى تعلو بمسافات لا يمكن قياسها على ملل أهل الغرب [1]، وعتادنا ثقافة جيدة وسلوك سوى يشكلان سراجاً وهاجاً يجذب أجيالنا من التيه، بل وليس علينا بعزيز تصدير الرشد الأخلاقى لأهل الغرب فنتحول من تغريب العرب إلى تعريب الغرب، فهو تربة خصبة لكل ثقافة جيدة، ولهذا نوزع بحثنا هنا إلى فروع ثلاثة:

الأول : الحصانة الفكرية والاعتداد بالذات الإسلامية.

الثانى : القدوة السلوكية.

الثالث : المسلمون وتصدير الرشد الأخلاقى.

(١) عماد الدين خليل ، مجلة الأمة ، محرم ١٤٠٣هـ.

obeikandi.com

الفرع الأول
الحصانة الفكرية
والاعتداد بالذات الإسلامية

وسوف نركز على مظاهر تلك الحصانة فى النقاط الآتية:

أولاً : الزاد الثقافى والاعتداد بالذات الإسلامية:

• الاعتداد بالذات دأب كل نبيل، ولا ينال ذلك الشرف إلا كل جواد أصيل، وينبوع هذا الاعتداد هو التزود بالثقافة الإسلامية الصافية النقية، لمن كان يريد العزة، وهنا يكون الاعتداد يصنع المعجزات، فقد تجد فتاة مسلمة صغيرة تلبس الزى الإسلامى معتدة به وفرحة فخورة لأنها قرأت قول ربها **﴿وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ﴾** فشكلت ثقافتها القرآنية سلوكها أمام غيرها من أصحاب العزة الموهومة.

ولذلك يقول الفلاسفة ثقافتنا سر قوتنا، فبقدر زادنا الثقافى يرتقى الواقع الإسلامى، فالمد الثقافى المتواصل هو الذى مكن لأمة الإسلام من احتفاظها بكيانها من الذوبان، رغم ما اعتراها من خطوب جسام لو اعترت غيرها من الأمم لتحولت إلى أثر بعد عين.

ولكل ثقافة وطن ولكل وطن ثقافة، فالخصوصية الثقافية سميا فى عصر السموات المفتوحة هى التى تحول دون ابتلاع الأمة، وأتعس أوطان الأرض التى تتبنى ثقافة غير ثقافتها لأن ثقافة الغير فقر [1].

---

(١) ولكن العلم غير الثقافة فالعلم مشاع بين الجميع، ولا يختلف من دولة إلى أخرى كالطب والكيمياء والفضاء.

ذلك ما يقوله المفكر الفرنسى المسلم جارودى [1]، حتى أنه قيل بالنسبة للتنمية المنشودة أنه لا يكتب لها النجاح إلا أن تنبع من الثقافة المحلية، أما إذا كانت مجرد تقليد للغير فعاقبة أمرها خسراً.

ولهذا انعقد الإجماع اليوم بين الكتاب والمفكرين والنابهين على ضرورة خروج وسائل الإعلام من مجال الدراسات والبحوث إلى حيز التنفيذ والتأثير الفاعل فى العقل الإسلامى؛ وإلا نكون قد فرطنا فى الكتاب، ولا مجال للتراخى، وبذلك نعصم أجيالنا المأزومة من استدراج ثقافة الغرب لهم بعيداً عن أحكام دين القيمة، لأن الحداثة المزعومة كل إيجابياتها رصيد متخم من الرغبات والأهواء ليس إلا، لأننا نأخذ بالمساوئ دون المحاسن منهم.

والشعب الذى لا يمتلك حصانة ذاتية وقوية معاً لا يمكن أن ينفتح على ميدان الثقافات أو يتفاعل معها دون أن يفقد أصالته، وهكذا يكون رجوعنا إلى ذاتنا الإسلامية جذوة الحماس التى ندخل بها صرح الحضارة من بابها الشرعى واثقين من أنفسنا فلا تخيفنا ممتلكات العدو وما يحوزه من أعاصير الدمار، فهناك حصون مشيدة من التوجيه المعنوى ومن الدفعات الفكرية الى تحمى الأمة من أية هزيمة حضارية.

إن اقتناء رصيد هائل فى كل ضروب المعرفة الإسلامية هو سبيل الاعتداد بالذات وإذكاء الحاسة الإسلامية التى تطرد الشعور بالدونية.

---

(١) مجلة العربى نوفمبر ١٩٨٠

١- بناء الإنسان يبدأ قبل بناء الدولة :

أقم دولة الإسلام فى ربوع دارك وقلبك تقم دولة الإسلام فى دولته.. من هنا نبدأ..

نعم بناء الإنسان يبدأ قبل بناء الدولة، وإلا كانت الخسائر فادحة والهوية عبارة عن الشفرة التى تمكن الفرد أن يعرف نفسه، وحدود علاقته بالجماعة الاجتماعية التى ينتمى إليها، ورموز هذه الشفرة تعتمد على التراث الثقافى والبعد التاريخى.

وإذا كانت الصحوة الإسلامية قد حققت شيئاً ذا بال، فهو انكشاف مخططات المؤامرة إلى صهرنا فى بوتقة الأممية، وإن كانت لنا دعوة واحدة فهى المحافظة على الذاتية الإسلامية المتميزة من الانصهار، نعم فهى **﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾** [البقرة:١٣٨].

٢- البيت المعمور بالثقافة الإسلامية أساس الحصانة :

نشر العلم والثقافة من أفضل أعمال البر

وليعلم المسلم الذى يعظم دينه أن البيت الفقير حقاً هو الخاوى من الثقافة الإسلامية، وبيت الغنى أو الثرى مهما كان مترعاً بالمال، فهو بيت فقير طالما خلا من زاد العقول وفاض من زاد البطون، فالثقافة الإسلامية بفروعها القشيبة هى التى تنير العقول وتعمر القلوب، وتبشر بالنهضة والارتقاء، ولن يتأتى ذلك إلا بفضل مكتبة فيها كتب قيمة يفاخر بها المؤمن والمؤمنة كما يفاخر بأثاث منزله.

إن من عادة رب الأسرة الأمين أن يقدم لأبنائه أزكى طعاماً، سيما للناشئة، وأولى لبانته أن تشيع بينهم الآثار التى تنهى عن تقليد غيرنا إلا فى المحاسن، يقول المصطفى ﷺ: "**من تشبه بقوم فهو منهم**" "**ويحشر المرء مع من أحب**" وأن ديننا لا يرضى بكشف العورات وهى أول البنود فى دستور إبليس، قال تعالى : ﴿**يَنـزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا**﴾ [الأعراف:٢٧].

إن مشكلتنا أننا نبتهج بزاد البطون ناسين زاد العقول، فأهملنا تربية النفوس والحذر من الرخيص ومن هنا يكون الضياع الدينى الناجم عن التقليد لما فيه من اختلاف الأفاق والأذواق، خلاف فى الثقافة التى تشكل السلوك، فالزاد الثقافى الذى يغب منه المؤمن والمؤمنة هو عدته وعتاده لكل سلوك ممدوح، لأن ينبوعه القرآن الكريم الذى يهدى إلى الرشد، والروض النضير من كلام سيد المرسلين، ففيهما وقود التغيير لكل عقل مستنير.

والمسلمة الرائدة تضحى منارة تسطع للآخرين فى كل سلوك محمود بفضل ثقافتنا المعطاءة، وحينئذ فلا عجب أن يكون من منهج القرآن فى بناء الإنسان، ﴿**وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ..**﴾ [الأحزاب:٣٤].

وناصحوا الأمة يحذرون من سيطرة فلول الشيوعيين القدامى على مراكز الثقافة العربية، فهؤلاء مهتمون ومتهمون بأنهم يتربصون بكم الدوائر، فأقعدوا لهم بكل المراصد الثقافية.

٣- من يقدم زاد العقول :

رب الأسرة فى الإسلام ليس مجرد ولى على أسرته، وإنما هو ولى مرشد يستخدم ولايته فى التوجيه والإرشاد.

فالغذاء الذى يقدمه لأهله وعشيرته لابد أن يكون أزكى طعاماً، غذاء للبدن والروح معاً. فإن هو اقتصر على غذاء البدن فقد سفه نفسه ولو حسب أنه يحسن صنعاً!.

فهلا أحضر رب الأسرة مع كل جهاز حديث يقتنيه كتاباً أو ثلة من الكتب، تغذيهم بالمعارف الراقية لمستقبل باهر يسمو بهم عن أن يكونوا مجرد أبناء يأكلون ويتمتعون ويلههم الأمل.

إن الأب إذا كان جاهلاً ومرض ابنه فإنه يأتى له بأعظم الأطباء ومشاهيرهم، وإذا كان مثقفاً حذر أهله من الغزو الفكرى القادم من ديار الغرب ليحتل عقولنا، وأصبحت سمومه شرا مستطيراً. كالاختلاط فى المدارس، على الرغم من أن علم النفس أثبت أن الغريزة لا يمكن قتلها أو إخفاؤها أو التسامى بها عن طريق الاختلاط [(١)].

إن الفكر الإسلامى التروبى لا يبرئ الأباء والمربين والموجهين والقادة فى كل موقع من مواقع المسئولية، عن تربية الشباب وتوجيهه، فإذا كنا ننسب إلى بعضهم التطرف مثلاً فإننا الآباء قبلهم متهمون بالتسيب، وإذا كنا ننسب إلى بعضهم الإفراط فيما لا ينبغى فنحن الآباء متهمون بالتفريط والإهمال، وذلك أدهى وأمر.

---

(١) الغزو الفكرى ، المرجع سالف الذكر، تقرير للدكتور على جريشة، وهناك أمثلة أخرى كثيرة على تسرب الأفكار الغربية إلى بيئتنا الإسلامية، وانظر أيضا مؤلف د. محمد محمد حسنين: حصوننا مهددة من داخلها، مكتبة المنار الإسلامية . الكويت.

obeikandi.com

٤- والقيم المنقرضة من يعيدها [1] :

هلا قمنا باستنفار الجيل كله من خطاب يملأ حياة الناس ضيقاً وحرجاً إلى خطاب دينى يردهم إلى الحياة السوية، حياة الحركة والانتعاش والبهجة والتواصل مع الدنيا كلها، فمجتمعاتنا عامة لا تزال تحتفظ بأصالتها الحضارية وهو ما يمثل رصيداً سائلاً أو مجمداً لا ينفد، وصفوفاً خلفية لم تنهزم تحتاج إلى أيادى متوضئة تمد إليها يد العون فتزداد حيويتها وقوتها.

إن نقطة الانطلاق تكمن فى مشروع النهضة بالمستقبل الذى يستفيد من خبرات الآخرين ويحترمها ويجليها لوقتها، ولكنه لا يتطلع إلى استنساخ نموذجهم الحضارى السلوكى الذى ارتضوه لهم دنيا؛ لأننا مختلفون عنهم فى الجذور والآمال والآلام، ومن حقنا أن يكون لنا نموذجنا الفريد الذى يؤهلنا لاستعادة قيمنا وأعرافنا والتى قد تبدو للناظرين أنها دخلت مرحلة الغروب، ولو خطط أصحاب الحاسة الإسلامية جيداً لتحركت مياهنا الراكدة ولاستطعنا أن نذب الذباب عن وجهنا النضير.

٥- تاريخنا يحمس ذاتنا الإسلامية:

إن قراءة التاريخ واجب من الواجبات الدينية وركن من أركان اليقين، فلابد من تحصيله، وهذا ما يقوله الإمام محمد عبده، فوقائع تاريخنا كلها مغريات لا مخزيات، فهى تعمق الانتماء إلى الإسلام بما حوى من المباهج السلوكية، وهنا تكمن أولى لبنات المناعة والحصانة،

---

(١) فهمى هويدى ، دعوة لاستعادة قيمنا المنقرضة ، الأهرام فى ١٥/٥/١٩٩٩م.

وإلا دخلنا فى دين الملك، وهو دين غاص بالتعديات والتحديات التى تطل علينا كل حين لتصبح بيوتنا عورة!.

إن تعاليم ديننا أخلاقيات ومحاسن وحدائق ذات بهجة ينابيعها كتب قيمة، ومعارف راقية وبطولات نادرة، وتاريخ أمجد من المجد، لا يضارعه تاريخ قديم أو وسيط أو حديث، حتى صار تراثنا بما حوى مناراً للعلماء وأثاراً للحكماء، من يكنب عليه يزداد إقبالاً عليه، يثير فى النفس الاعتداد، فكم كان أجدادنا كراماً بررة مخلصين لهذا الدين، ففازوا بمرتبة الشرف فى سجلات التاريخ، وكانوا مناراً للآخرين وقدوة للعالمين فى الرشد الأخلاقى، فجمعوا بين القطبين الأعظمين للسلوك السوى (العلم والعمل)، صاروا أئمة يؤتم بهم أحياءً وأمواتاً أعزهم الإسلام وأعزوا الإسلام، ففتحوا أقطار الأرض بهذا السلوك قبل سيوفهم، رسموا خريطة العالم الإسلامى ما شاء الله لهم، دون غاز أو فاتح، أمسكوا بزمام العلياء، علموا العالم والبشرية وفى مقدمتها الحضارة الغربية، لم يكونوا أبداً مع الخوالف، فكيف تكون بيوتنا ساحات لمستنقعات الغير من أعراف كانت وبالاً على أصحابها.

والقيم الإسلامية وإن لم يحسن الناس تطبيقها أو حادوا عنها فى عديد من مدن الإسلام وفى العصور المتعاقبة، فإن هذا لا يلغيها، ولكنها كانت على الدوام تقيم الحجة على من يخالفها؛ إن للأصالة جذوراً فى المجتمع العربى وقوى تدافع عنها، وهى تقاوم الذوبان منطلقة من الهوية العربية، وجوهر هذه الهوية يكمن فى الثقافة الإسلامية [1].

---

(١) محمد صالح العجيلى ، (مرجع سابق).

إن الأمة الإسلامية ظلت قروناً طويلة أقرب مجتمعات الدنيا إلى الأدب والتعاون والتحاب وإن اضطربت سياسة الحكم فيها وذلك بفضل منهج الإسلام فى التربية [1].

٦- وخريطة المفاهيم السلوكية والمضامين الثقافية :

فنحن اليوم نقف على أهبة الاستعداد للمواجهة السلوكية مع الآخر، والبداية هى تصحيح المفاهيم المتسربة التى تكاد أن تفرط علينا أو أن تطغى، لمفهوم الحرية والندية والكونية الثقافية والعولمة الجامحة، فمكمن الداء أننا نسوق الأشياء إلى أجيالنا أحياناً بأسمائها المستوردة، وهو انتصار للآخر ولو بحسن نية على حساب الأنا، فمفهوم الحرية المقرب اليوم يكاد يصل إلى حد العناق وتبادل القبلات والاختلاط بالجنس الآخر بلا حدود، بينما الحرية فى الإسلام لها ضوابطها الشرعية الحازمة، فهنا يكون التجانس الثقافى للأمة مطلوب وبإلحاح، ولو تحولت الأمة إلى قطع متجاورات أو جزر معزولة لا تجمعها ثقافة واحدة فإنه يجرى تفريغها من مضمونها مع أنها أمة ذات نسيج واحد! ولقد أدت المفاهيم المتسربة إلى زلزلة دول إسلامية مثل تركيا والجزائر فصارت أشبه بجزر غربية داخل المحيط الإسلامى الهادئ، فهم لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء وهو ما يتطلب من القادة والمصلحين وصالح المؤمنين أن يبذلوا أقصى جهدهم فى سبيل توحيد المفاهيم والمضامين الثقافية التى ترفرف على هذه الأمة المتجانسة، والتى يجمعها لباس العفاف والتقى والخيرية والهداية الربانية.

---

(١) محمد الغزالى ، قبس من الإسلام، ص ١١.

٧- فضائيات إسلامية تواجه التغريب :

وداونى بالتى كانت هى الداء، فالبث المباشر كما هو ضالع فى إذاعة وإشاعة السلوكيات الوافدة المحمودة، وهنا تكون المواجهة بالبرامج الأخاذة الجذابة التى تشد الانتباه وتعكس الجوانب المشرقة والمشرفة لقيمنا، الإعلام بالإعلام، وبذلك ينتقل الحديث عن سلبيات الإعلام إلى الإيجابيات المثمرة التى تهفو إليها النفوس بعد النكوص، الجميع مدعون إلى التأدب مع الله، وأن تلين قلوبهم لذكر الله، فعندها مفاتح الثقافة البناءة، والتصدى للغزو السلوكى ليس بدعا من الأمر أو دعوة جاهلية (١). وإن تقوية الوازع الدينى لدى الشباب هو السبيل للمواجهة الفعلية لخطر الفضائيات.

٨- ثقافة مضارعة على مستوى العصر تواجه التبعية:

بناء الإنسان يبدأ قبل بناء الدولة، وبدايته بالثقافة الجيدة، وأى فراغ ثقافى يوجد فى شخصية المسلم فى عصرنا يعرضه للغرق فى مستنقع المخالفات عابرة القارات، والغريب أن لدينا مخزوناً ثقافياً هائلاً ومتراكماً، فلماذا نضرب عنه الذكر صفحاً، وتضرب عليه الذلة أو التعتيم!.

وإذا كان الغزو الثقافى قد زلزل عروشاً فلن يردعه إلا ثقافة مضارعة مثله، ثقافة تؤمن بالانفتاح والاستفادة من التجارب الإنسانية العالمية وتتجنب الهامشية والاغتراب والاقتلاع الثقافى، ثقافة مرتبطة بتطلعات الشعب، ومعبرة عن توقه واشتياقه للتحرر والاستقلال الثقافى،

---

(١) د. جمال البرزنجى ، الإيمان ملحق جريدة الأنباء الكويتية ، العدد (٨٧٩٦).

وإذا كانت سلبيات الغرب قد نالت من أعرافنا فإن دحرها لا يتم إلا بثقافة مضادة، تلهب الحاسة الإسلامية والقومية، وتقي من انفصام الشخصية، وإلا تكن فتنة في الدين وفساد كبير وهي اقتلاعنا ثم ابتلاعنا، والأمل معقود على قادة شعوبنا والصالحين من عبادنا بترويج ثقافة تكسب الجسم الإسلامي مناعة والعقل حصانة، لأن الدعة والاتكال على الآخر ضعف يعقبه الموت، سيما إذا كان الدخيل رخيص أو خسيس، وينابيع الثقافة عندنا فياضة رقراقة تعصمنا من التيارات الهدامة التي تود التعتيم على خريطة الهوية الثقافية توطئة لسحقها ومحوها.

ومعلوم في عرف التقدم أن المجتمع لا يستقيم أمره أو يسترد عافيته إذا خرج نموذجه من تربة غيره، ولكي تنمو شجرته وتصبح الأرض مخضرة فلا مفر أن يترعرع النموذج في الهواء الطلق منفتحاً على ما حوله ومستفيداً من خبرات غيره، يبحث جاهداً حول موجبات رحمة الله حتى يؤتى من الحكمة ما يرقى به إلى الرشد المأمول.

إن السيف لا يعمل إلا في يد البطل

ولا ينفع الحسب الموروث إلا بالهمم

وعلى ما يراه الناصحون فإن إتقاننا للعلوم الحديثة سيقضي على الانبهار بالغرب بل ويخلق الاعتداد بالنفس، وتفتح أبواب الانطلاق والإبداع، ويضحى التغريب أو التحديث سيما في السلوكيات شعاراً دخيلاً [1] فأمتنا لا يغيبها نقائص سلوكية تستوجب التحديث، وإنما كل

(١) د. محمود حمدى زقزوق (وزير الأوقاف المصري) الإيمان، في ٢٠٠١/٢/٢م

رؤى واضحة تسير على هداها سيما وعندنا الراسخون فى العلم وصالح المؤمنين ناهيك عن العقول المهاجرة والتى تشعل وقود النهضة فى الغرب وتقود زمامها فى صمت وسمت العلماء.

٩- فقه عاصم للأقليات من الذوبان :

فالأقليات المسلمة تواجه تحديات موجعة تتراوح بين الذوبان والتقوقع وعددها أخذ فى ازدياد نظراً لأن العالم قد أصبح قرية صغيرة، فكيف تواكب مستجدات العصر وعواصفه الهوجاء، وخاصة مع الجيل الثانى والثالث، كما أن حملات الإساءة لدينهم تطاردهم بالغداة والعشى.

نعم للاندماج لا للذوبان، وهنا يصبح ميلاد فقه جديد ضرورة أو حتماً يطوق أعناق فقهائنا الذين ما تخلفوا يوماً عن مواكبة الواقع فى أى عصر ومصر.

ثانياً : مفهوم الحضارة والتطور :

التوازن فى السلوكيات:

الحضارة هى الرقى بالإنسان فى منهجه وأسلوب معيشته وعلاقته بغيره، ومنها فنون وعلوم فيها يتنافس المتنافسون، وهى تعنى التوازن بين الجانب المادى الذى خلق منه الإنسان (الطين) وبين الجانب الروحى (العاطفي).

أما أن نظن بالحضارة الظنون، وأنها تعنى الترفيه والطرب ونشدان المتعة والراحة فذلك ظننا الذى أردانا.

إن معنى الحضارة الحق هو: الارتقاء بالإنسانية فى الكمالات الخلقية وفى العلوم والسلوك، فالإسلام أقام حضارته على دعامتين: العلم والأخلاق، فإذا كان التقدم العلمى ممزوجاً بالترف الممقوت وكان الفجور ميسوراً، فحينئذ تخيب الظنون فى هذه الحضارة، لأن هذه الثغرات تهدد بفنائها ولكن بعد حين من الدهر، والدليل على ذلك أن أعداد هائلة من الأوروبيين يقبلون اليوم على الانتحار بشراهة، ناهيك عن تكاثر أولاد الزنا وذيوع الخنا، ولذلك يقال أن الحضارة تعيش فى مأزق حقيقى وإن لم تصل بعد إلى مرحلة الانـدحار والانتحار، إن المسلم إذا استيقن الحضارة بمعناها الحقيقى ودع المساوئ السلوكية التى أفرزتها سلبيات المدنية الغربية، والتى أعلت الجانب المادى وأغفلت الجانب الروحى دون مبرر معقول!.

١- التطور دأبنا :

الإسلام ليس صخرة كما يعرضه المبطلون، فأى حكم فى الإسلام يمنع التقدم؟ وهنا نفرق بين مبادئ الدين وواقع المسلمين.

فالإسلام فيه من المبادئ، ما يواكب كل عصر ومصر، فيه ثوابت فى العقيدة والشريعة، ولكنه فى أمور حياتنا يحض على التغيير والتطور والتقدم والعصرية، وإلا ما استطاع أن يطوى أربعة عشر قرناً من عمر الزمان، وأن يصل اتباع محمد ﷺ إلى ما يزيد على المليار ولا يجحد ذلك إلا من سفه نفسه.

والتطور الحقيقى هو التطور فى المنجزات، أما الأخلاقيات والسلوكيات فلا يرد عليها التطور، فالقيم هى رواسى شامخات، دعامة

المجتمع الفاضل، كصدق الوعد ووفاء العهد والبذل والكرم والشهامة والشجاعة والاستقامة والحياء والتضحية فما شأن التطور بها؟، ويوم أن تتسرب من المجتمع يكون قد أذن مؤذن بإشهار إفلاسه.

والإسلام هو دين الاعتراف من المعارف والعلوم ولكن دون اقتباس سلوكياته من أصحاب الملة الأخرى قال تعالى : **﴿ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾** [يوسف:٤٠]، وهو اليوم يقدم للعالم المترامى الأطراف منظومة القيم الإنسانية مهما ران على أهله من السلبيات، فكم نحن محسودون على الرشد الأخلاقى وخلو ساحتنا من الأمراض الإنسانية الخبيثة التى جلبتها السلوكيات الهدامة باسم التطور والعصرية؟

وصدق الله العظيم : **﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾** [طه:١٢٤].

٢- معنى التقدم:

التقدم والتحضر نوعان: مادى وأدبي، فالتقدم المادى اختراعات وإنجازات، والتقدم الأدبى رقى فى السلوكيات، فتجرى حركة التقدم فى إطار أخلاقي، ومفهوم الغرب للحضارة مرتبط بالعلوم والمعطيات المادية وهو موجه لرفاهية الإنسان دون تقدير لإطار الدين، ولذلك تظهر عورات المنهج الغربى الوافد لعجزه عن تفسير الحضارة الإسلامية فى نطاق معنوياتها التى يعجز عن تصورها. إن كل المظاهر المادية للتحضر لا يرفضها الإسلام، وإنما يرفض إخراج المسلمين عن نمط حياتهم ومنهج فكرهم للإقبال على الترف والتحلل، ومن هنا تكون

يقظة الفكر الإسلامي لرصد التسلل الذى يختفى وراء المنهج الثقافى الوافد فى محاولة صياغة عقلية الشعوب الإسلامية وفقاً للقوالب الغربية، فالحضارة الغربية بالرغم من عطائها الموصول فى العلوم والمعارف مقعدة وعاجزة أن تعطى اليوم شيئاً للنفس البشرية، لأنهم لا يسمحون للدين أن يؤثر فى الحياة العملية، وحينئذ يكون الإنسان مرشحاً لأن يتبع هواه فيردى، والخلاصة أن الإسلام يحض على الأخذ بكل علوم العصر وفى الوقت نفسه يضمن السعادة للإنسان دون أن يتبع هواه فيردى.

٣-٠مفهوم الأصالة والمعاصرة فى السلوكيات :

سلوكيات الفطرة هى أساس الحضارة وتجاهلها هو أحد الأسباب فى أزماتها وتعثرها، والنموذج الذى لا يلبى مطالب الفطرة يتأزم بعد حين كما كان حديثاً بالنسبة للاتحاد السوفيتى، وهكذا فالحضارة الغربية بما حوت من تقدم وازدهار فى العلوم والابتكارات تتجه إلى التأزم والانفجار نتيجة تغييب المقدس وإنكار فكرة التدين وفصل الإنسان عن أحمد السلوك (١)، فهل تعنى المعاصرة أن تنقلب موازين السلوكيات ؟ هل تعنى أن تنقلب أفراح المسلمين إلى مراقص أو تتحلى المرأة الريفية والبدوية العربية بزى الأوروبية، أو أن يتحدث العربى بلغة أجنبية مع العرب؛ وأن يحيا البيت العربى بمناخ غربى؛ إننا إذن أمة ضحكت من جهلها الأمم، إن السلوكيات المنبثقة من القيم لا يرد عليها التطور فمحل ذلك هو الاختراعات والماكينات والأدوات، فالقيم لا تهتز أو تبلى على مر الزمان.

---

(١) انظر الإيمان ملحق الأبناء الكويتية، غازى التوبة، فى ٢٠٠١/١/٢١م.

والراصد لأوضاعنا الثقافية يلمح أننا نتعامل مع كل وافد من الغرب على أنه معاصر، ومع كل إسلامي على أنه رث وقديم، وهذا ليس بصحيح، فهناك اجتهادات إسلامية منذ لاح فجر الإسلام وسناه واجتهادات عصرية فى كل فروع الثقافة الإنسانية التى تشكل العقد الفريد لسلوكيات السوى المهتدى.

ولم ترفض الحضارة الإسلامية فى أى مرحلة التعامل مع العالم أو التفاعل معه مطلقاً، فبعد الفتوحات الإسلامية التى أدخلت أهم الحضارات القديمة (الفارسية والهندية واليونانية) فى إطار الدولة الإسلامية حدث اعظم ألوان الانفتاح الحضارى وأوسعه من العرب المسلمين على تلك الحضارات القديمة، لكنهم ميزوا بين المشترك الإنسانى العام فاستلهموه ووظفوه محكوماً بأخلاقيات الإسلام، وبين الخصوصيات الحضارية فرفضوها، بل شنوا عليها - عندما تعرضوا لغزوها - حرباً ضروساً.

وبهذا المعنى تتعزز أواصر الاتصال والانفتاح بين ثقافة المجتمع المسلم مع حضارات الآخرين دون الإخلال بموازين الأصالة وجوهرها(١).

لنعلم جيداً أن السلوك الأوروبى ليس معاصراً بل هو وافد عليهم من الإغريق والرومان، ممزوجاً بما رانا عليهما من بقايا الوثنية والمسيحية، فالقيم الغربية هى قيم إغريقية ذات قشرة تنسب فى شقها السلوكى السلبى للمسيحية مع أن شريعة عيسى بن مريم وهو منها براء.

---

(١) محمد صالح العجيلى ، (مرجع سابق).

والإعراض عن تقليد الأجانب ليس معناه أن توصد الأبواب أمام الانفتاح الفكرى على العالم المتقدم، فنحن مأمورون بالتقليد من فورنا فى مجال العلوم والتكنولوجيا وإلا صرنا مع الخوالف.

فقضية التقنية هى قاسم مشترك بين أهل الأرض، فمن وجدها فى كون الله الفسيح فهو أحق بها وأهلها، ولا يقف هنا حائل سوى ما تفرضه أصول التلاقح الفكرى، فقومنا محوطون بسياج من عقيدة وشريعة غراء تحظر استخدام الناتج العلمى فى غير الأغراض النبيلة، فلا تستخدم الكيمياء مثلاً فى إبادة البشر.

هل طرق طارق لإحداث تعديلات فى منظومة القيم التى أتى بها النبيون من ربهم، والتى بها يحمل كل مجتمع شهادة صحية بالخلو من الأمراض السلوكية التى تفتك بأهله؟.

هل تعنى المعاصرة أن يتخلى "محمد" أستاذ الجامعة وموجه الأجيال عن الاعتداد بذاته الإسلامية وقيمه فى محاضراته وندواته وما يتبع ذلك من قول أو فعل، فإنه إن فعل ذلك سيما فى حضرة الأجانب أو أصحاب الملة الأخرى فقد ضل سعيه، وسيرمونه بالتبعية والدونية والهزيمة النفسية، لتجاهله ذاته العربية ودينه الذى ارتقى به إلى العالمية، ولن تنجح الحضارة الغربية فى استيعاب الحضارات الأخرى وأهلها، طالما أن لكل أمة معطياتها الحضارية الثابتة، فهناك عوامل مضادة لها، منها بروز عدد من النماذج بين الدول النامية، فضلاً عن المنافسة والصراع بين قوى العولمة ذاتها، كل أولئك يمكن أن يسارع بها إلى النهاية المحتومة فى مزبلة التاريخ أسوة بشقيقتها النازية.

opeikanu.com

ثالثاً : إعلاء شأن حسنائنا :

لغتنا العربية هى الوعاء الذى حمل لنا القرآن الكريم المنزل من السماء إلى أهل الأرض، ومن بركات القرآن الكريم تقويم إعوجاج اللسان والذى بدأ على ألسنة الأجيال وأستوى فيه الأستاذ والتلميذ، والشرف هو أن تتكلم بلغتك فى وطنك، أما أن تتكلم بلغة غير متناسقة مع قومك فتلك خسة، ولغتنا هى البحر الزخار الغاص بالكنوز واللآلئ فهى حيوية وقوية، ولا يمكن أن يصل إليها التسوس، فهى مواكبة دائماً لموكب الحضارة، كما واكبتها القرون الماضية، ولكن إذا لم نعجل الخطى داست علينا الأقدام، وأى اتهام قبلها فهو من سوس البشر، وتعظيمها اليوم مهمة العلماء والأمراء.

إن الثقافة العربية لن تتحقق لها عالميتها ولغتنا مهملة من جانب أهلها، على أن تعلم اللغات الأجنبية وإن كان مطلباً حضارياً ملحاً، فهو لا يعنى اتخاذها بديلاً للسان العربى فى التأليف والإبداع، ومن ثم يكون السبيل إلى التحضر، هو مواجهة التحديات التى تعترينا، وشفيعنا تاريخنا الحضارى المتجذر[1] الذى يشحذ الهمم، وحين نعظم لغتنا فهو تعظيم لديننا وتعضيد لكياننا وعصمة له من الذوبان.

رابعاً : مواجهة التبعية فى ميدان الدراسات الإنسانية :

تلك أولى الخطوات التى بها نبدأ، فالعلم حقائق لا تختلف أصولها من دولة إلى دولة كالكيمياء والرياضة والطب، أما الثقافة فهى المعارف التى تشكل سلوك الإنسان، وهى خليط من العقيدة والثقافة

---

(١) سعيد بيومى ، اللغة والنزعة الليبرالية ، مقال الأهرام فى ٢٠٠٢/١٢/٦م.

العامة ومختلف المعارف، وهى لذلك تختلف من أمة لأمة، ويجب أن يكون لكل أمة ثقافة مميزة لأنها هى التى تشكل السلوكيات وعن طريقها يتم الاختراق، وإلا صارت فى عداد الاتباع والمخلفين، وانتاب أبنائها الشعور بالدونية.

وهنا يقول محمد إقبال رحمه الله: إياك أن تكون آمناً فى العلم – يقصد الثقافة –، الذى تدرسه، فإنه يستطيع أن يقتل أمة بأسرها. وهو يشير إلى الاحتلال الثقافى أو احتلال العقول لأمة ما، ثم سيرها على منهج المحتل المختل [1].

١– جذور الثقافة الغربية تختلف عن جذورنا الفكرية :

نحن لا نغمط القوم حقهم، ولا نبخسهم أشياءهم، فلديهم نظريات "تربوية" جيدة ونظريات أخرى فى كل مجال، ولكن الذى نؤكد عليه أنه ليس بالضرورة أن نغمض أعيننا فنأخذ كل ما عندهم، ولسنا ملزمين بأن نلغى ذواتنا لنعيش ذواتهم، فليس كل ما لديهم يصلح لنا، فهم شئ ونحن شئ آخر، فبالتالى يجب أن تختلف سلوكياتنا عنهم[2]. .

الثقافة هناك هى مادة من صنع أيديهم من إعداد المفكرين والفلاسفة والكبار اللادينيين، فهى دائمة عرضه للتغيير والتبديل، أما ثقافتنا فأصلها ثابت فى صحف مطهرة تؤت أكلها كل حين ولا تبلى على مر الزمان بل تزداد طرحاً بفضل النابغين والراسخين فى العلم، وخذ مثلاً بسيطاً للفارق بين الثقافتين، فالمريض الميؤس من شفائه قتله عندهم عمل إنسانى وهو ما يسمونه بالموت الرحيم!! وفى ثقافتنا يعد

---

(١) محمد الغزالى ، حصاد الغرور ، ص١٨٨ .
(٢) راجع : د/ عبد الله الشيبانى .. المسلمون وظاهرة الهزيمة النفسية ص١٥٣.

جريمة نكراء، وعلاج الأمراض النفسية عندهم ليس لـــه طب روحى، أما عندنا فقرآناً عجباً يشفى صدور قوم مؤمنين، والاختلاط عندهم ليس لــه حدود أو قيود رغم ما غشيهم من موبقاته، أما فى ديننا فهو إن زاد عن ضوابط الشرع ينقلب الأمر من مسرةٍ إلى مضره، والمــرأة فـــى الثقافة الغربية أم الخطيئة وقضية شغلت المفكرين وأقضت مضاجعهم، لكن هى فى تراثنا قضية بلا متقاضين، فهى ملكة متوجه على عرشـــها وأميرة فى بيتها.

رجال الدين عندهم فـــى محـــراب وكهنـــوت لا يقربـــه حتـــى المقربون، أما فى الإسلام فالتفقه فى الدين يضطلع به أهل الذكر وكـــل من شاء ولا يكتمون الناس حديثاً.

الربا عندهم حلال مهما حوى من الانتهاز، وفى ملتنـــا باطـــل مرفوض، وولد الزنا لديهم يسمى ابناً طبيعياً أما عندنا فهو من ســـفاح مهما طال عليه الأمد.

هذا قليل من كثير، فروق وفتوق هائلة، فما سر اختلاف الثقافتين الذى ولد اختلاف المسلكين.

بادئ ذى بدء العلوم لا تختلف من دولة إلـــى أخـــرى كالفلـــك والطب والكيمياء – كما سبق – فهى تتخطى الحواجز بلا حرج، فالعلم مشاع بين الدول، أما الثقافة كما يقول مالك بن نبى : ليست مجموعـــة من المعارف وإنما هى نظرية فى السلوك، هـــى مواقـــف وعواطـــف وعادات واتجاهات يثريها الدين بوجه خاص، ولكل أمة ثقافتها، وعسير على أمة لها مجدها أن تفتح أبوابها لثقافة غازية لعدم تجانسها مع عقول أبنائها، وإلا أصيبوا بالمسخ الثقافى.

وفى الغرب يستلهمون ثقافتهم من الفكر اليونـــانى والإغريقـــى الوثنى المشكل فى إطار المســيحية المحرفــة علـــى أيــدى الأحبــار والرهبان، فاليونان قد مثلت على مسرح الحياة دوراً خالداً يتيــه علـــى الزمان بآدابه وتراثه، ولا تزال مكتبات العالم مزهوة بآثارهــا ولكــن طبيعة الحضارة الإغريقية تميزت بما يلى :

(١) قلة الدين والخشوع، فما قدروا الله حق قدره، فقد كانوا يعظمــون آلهتهم بالرقص والغناء.

(٢) شدة الاعتداد بالحياة الدنيا والاهتمام بلذائها والميــل إلـــى اللهــو والطرب فى حياتهم.

(٣) الحرية الشخصية التى لا تعرف حداً ولا قيداً، وهو ما ترك فــيهم تأثيراً سيئاً فى الأخلاق.

(٤) النزعة الوطنية لا تزال اليوم من طبيعة الأوروبي، ثم جــاء دور الروم – خلفاء لليونان فى المجد والسؤدد – ففاقوهم فى القوة والتنظــيم والجندية، ولكنهم لم يلحقوا بهم فى العلوم والفســلفة والآداب فــانقلبوا صاغرين للمدنية اليونانية التى غلب أهلها فـــى السياســـة، واســتمرت اليونانية لغة العلم والتأليف، وانقلبت الثقافة اليونانية إلى الروم، وكانت النتيجة أيضاً هى الإيمان بالمحسوس فقط، وشك فى الدين أو الإيمـــان بالغيب.

وقد انتقلت هذه الرؤى عبر العصور حتى استقرت فى أحشـــاء نظم الغرب، وصارت هى الميراث والتراث، فطفق ابن الغرب يقــدس الحرية الجنسية مثلاً، غافلين عن شرف الإنسان، وطهــارة الأنســاب، وتعطل الفكر عن الاعتداد بمسائل الحلال والحرام، وتلكم هى الجــذور الغائرة فى الثقافة الغربية، وبينها وبيننا بُعد المشرقين.

٢- غربلة المستورد الثقافى [1] :

وإذا أردنا أن نثب وثبة النهضة فلابد من كتاب جهابذة يتناولون الثقافة الغربية بإنصاف بمالها وما عليها، وهنا نـدقق مثنـى وثـلاث ورباع، لأنها تعانى من انفصام فى القيم حتى صار الرقص فناً مزدهراً راقياً وعارياً، وتمنح الجوائز للأكثر إغراء وإثارة.

إن ديننا يوجب علينا أن نأخذ من تجارب الآخرين، ثـم نعيـد صياغتها صياغة إيمانية، فنأخذ حينئذ من بين فرث ودم لبنـاً خالصـاً سائغاً للشاربين لنقدم لأجيالنا أزكى طعاماً.

وهنا ينصح ناصحوا الأمة أن استيراد التكنولوجيا الغربية يجب ألا يشمل القيم الغربية، إذ لابد من عرض قضايا علم الإنسـان علـى أصول الشريعة الإسلامية كمصفاة تحجب رذائل الغرب السلوكية، كما يحذر الناصحون من سيطرة أو هيمنة فلول الشيوعيين القـدامى علـى مراكز الثقافة العربية، وهؤلاء متهمون بأنهم غير محايدين، فيلبسـون الحق بالباطل، ويستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير.

٣- تقليم أظافر العولمة :

لم تنجح الحضارة الغربية كما يقول البـاحثون فـى اسـتيعاب الحضارات الأخرى طالما أن لكل أمة معطياتها الحضـارية الثابتـة، فالنيل من خصوصياتنا الحضارية عن طريق الأمركة أو العولمة كـرة خاسرة لأن أصالتنا تجرى فى دمائنا وثوابتنا وفـى عروقنـا، ونحـن مرتبطون بجذورنا.

---

(١) المستورد الثقافى غير المستورد فى العلوم فلا ترد عليه الغربلة .

والكنز الثقافى عندنا متخم بينابيع المد الإسلامى، وهو يحمل فى طياته مرتكزاً لصد كل تيار وافد هدام، ومن هنا فنحن قادرون على تقليم أظافر العولمة، أو التعايش معها بندية كاملة تحول بيننا وبين الدخول فى دين الملك.

فلدينا ثغور متينة وجبهات متربصة مضادة للعولمة، منها بروز عدد من نماذج القوة بين الدول النامية، فضلاً عن المنافسة المشتعلة بين قوى العولمة ذاتها، كل أولئك كفيل بأن يجرها إلى مزبلة التاريخ ونهايتها المحتومة أسوة بشقيقتها النازية من قبل.

هل نخشى خوفاً أو دركاً من الثقافات نحن المسلمين، نعم هناك زحف من تلك الثقافات وليس ذلك علينا بعزيز، ولكن لا يكون ذلك بالتقوقع على أنفسنا وبالخوف على ديننا فللبيت رب يحميه، والإشكالية القائمة هى كيف نستفيد من النظام العالمى من إيجابياته إن كانت له، مع الاحتفاظ بالعراقة والهوية، بل ولا مانع أن تكون ملامح العولمة القادمة هى العولمة المسلمة بمفهومها الإسلامى لا بمفهومها الغربى.

خامساً : تقليد الغرب فى أحمد سلوكه :

١- نحن لا نعادى الغرب فلسنا دعاة حرب :

وكيف لنا أن نعادى الغرب، وديننا عالمى الرسالة، ورسولنا رحمة للعاملين، وجاء للناس كافة ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾[1] [الأنبياء:١٠٧]، وإن كان الغرب الجديد ينظر إليه من طرف خفى على أنه العدو الأخضر بعد تشييع عدوه الأحمر – الشيوعية – إلى مثواه الأخير.

(١) دكتور محمود عكام : الأنباء الكويتية ٢٠٠٠/٣/٣١م، ولقد قال علماؤنا سابقا أن هناك أمتين ، أمة الإجابة ، وهؤلاء من آمنوا وأمة الدعوة وهؤلاء من تجب دعوتهم إلى الإسلام بالتى هى أحسن ، وعلاقتنا بالغرب محسومة لصالح الدعوة الإسلامية.

إن من الأمور التى ذكرها فى الأرض سار أن الإسلام هو دين السماحة وأتباعه رسل فى الرشد الأخلاقى، والغرب صاحب حضارة زاهرة ونحن مدعون إلى الاقتباس منها، وأهل الشرق والغرب أصحاب رسالة سماوية لا فلسفة بشرية. ومن ثم فهم جميعاً فى سرادق واحد ينهلون مما أوتى للنبيون من ربهم، فنحن أبناء عمومة فى مجمع الأديان والإيمان.

نعم هناك حقد متجذر لرواسب تاريخية من مفكرى الغرب وهم يعملون على إيجاد صورة مزيفه لا صلة لها بالحقيقة أو الواقع، صورة غريبة بشعة كالحة عن الإسلام، بهدف تسويقها للمواطن الغربى بغية تحصينه ضد الإسلام، وجعله خائفاً أوكارها لــه، فأساء هــؤلاء إلــى الدين الإسلامى وإلى المواطن الغربى معاً، ولقد مارس هؤلاء الكتــاب الغربيون أكبر وأوسع عملية تزييف وعى فى التاريخ كله، كما أســاءوا إلى العلاقات بين الغرب والشرق وإلى السلم العالمى وإلى الموضوعية والحياد، ولا يزال بعضهم يعمل على تكريس صورة باطلة مضللة عن الإسلام والمسلمين مستفيدين من ثورة الاتصــالات نقــل المعلومــات، معدلون قليلاً أو كثيراً فى السيناريوهات القديمة بهدف ما يسمى "أسلمه الإرهاب"، على حد وصف أحد كتاب "الأهرام" كل ذلك من أجل تهيئــة أجواء الخصومة، وتعبئة للنفوس لإشعال فتيــل صــراع الحضــارات والديانات وفى مقدمتها الإسلام، العدو الخضر كما يطلقون عليه[1].

نعم هناك مرارة فى النفس كامنة عند كثير من أهل الغرب منذ وهم الحروب الصليبية والتى انتهت بانتصار المسلمين علــى جحافــل

---

(١) د. محمد الشرقاوى مقال فى لأهرام عنوانه الإسلام كيف يراه الغرب ؟

الروم الغازية، وهو ما يدفع إلى هجمات شرسة أحياناً من ثلة الحاقدين على الإسلام، ولكن المسلمين لا يبسطون أيديهم بالسوء طالما كفوا أيديهم عنا. فنحن مأمورون بالقسط إليهم طالما أنهم لا يقاتلونا فى الدين.

ومن هنا فإن سلوكيات الأجانب ليس لها علينا من فضل إلا إذا كانت فى المحاسن، ونحن نمد أيدينا إلى الغرب لنقتبس منهم أحسن ما عملوا، وباختصار شديد فإن الإسلام ليس له عدو.

٢- التقليد فى النفيس دون الرخيص :

نحن أول المهنئين والداعين لتقليد الغرب ولكن فى المحاسن ما ظهر منها وما بطن.. عن أسرار النهضة والمعارف الراقية والعصرية فهى قصة نجاح.

ومن تلك السلوكيات المحمودة والتى يجب أن تنكب عليها لأنها مواكبة لديننا. تقليد الشعوب الأجنبية فى الحفاظ على قوميتها [١].

يقف الإنسان حائراً مشدوهاً أمام شعب مثل الشعب الإنجليزى الذى اشتهر بأنه شعب تقليدى يحافظ على قيمه وأعرافه ما استطاع إلى ذلك سبيلا، ولا يرضى بالاقتباس من أمم أخرى ولو كانت تلك الأمم أمم أمثالهم.

وهناك آية أخرى رائعة على تمسك الشعوب الأجنبية بتقاليدها هو أنك تجد الأيرلنديين بدورهم مع كونهم أمة صغيرة تجاور بلاد الإنجليز، وقد حاول الأخيرون جاهدين استمالتهم وإدماجهم فى مجتمعهم وصهرهم فى شعبهم مدة بلغت سبعة قرون، ولكن الأيرلنديين صدوهم

---

(١) انظر مؤلفنا ترشيد الواقع الإسلامى ص١٣٧.

عن ذلك ولبثوا على عقيدتهم وتمسكوا بأذواقهم وعاداتهم التـى شـبوا عليها وأصروا على ذلك واستكبروا استكبارا، عارفين الفضل لأمـتهم معترفين لها بالجميل.

إن الجاحد لفضل المجتمع الذى يعيش فيه هو الذى يرضى أن يتنازل أفراد شعبه عن قوميتهم وذاتيتهم، والجاحد فى البلاد الإسـلامية هو الذى يود أن يتنصل المسلمون فى بلادهم من مقومات شخصـيتهم ويجرهم إلى ى إنكار ماضيهم ومجدهم، ومثل هذا الخذلان لا يصدر إلا عن ضعيف النفس "دنئ الأصل"، فالسلوك الطبيعى والأمثل هو أن تميل كل أمة إلى الاستمساك بمقوماتها وعناصر وجودها من لغة وعـادات وعقيدة[1] ونحن لا نصر على التمسك بأى شئ وإنما على أن تحـافظ الأمة الإسلامية على شخصيتها من الذوبان وألا تكـون مزيجـا مـن شخصيات من أمم شتى.

نعم لنقل الحضارة العلمية لا للخصوصية الثقافية، نعم لنقل العام الذى اصطلح على تسمية باسم الحضارة، دون الخاص وهو الثقافة التى تشكل سلوك كل شعب، وهى الفريد غير المشترك والذى يميز شعبا من شعب [2].

٣- بصائر إلى المفتونين بالغرب

أ- محاسن الغرب هى أصلاً بضاعة الشرق :

كل النفائس التى بهرت أعين الناس والوافدة من الغـرب هـى أبجديات فى ديننا ولكن غفل عن ذلك الغافلون.

---

(١) شكيب أرسلان ، مرجع سابق ، ص٨٩.
(٢) انظر د. أمان عبد المؤمن اشكالية التقدم فى العالم الإسلامى . دار النهضة العربية ص٥٨

. نعم الغرب لــه شرعة ومنهاجا أوصلته إلى مــدارج الكمــال، ولكن إيجابياتهم كلها مفصلة على علم عندنا، ثم ضربنا عنهــا الــذكر صفحا بفعل الانهزام الثقافى، ودأبنا فى التفريط فى كل عزيــز لــدينا، يضاف إلى ذلك ما يحدث من تعتيم أو تهميش لتراثنا لمحاولة محوه من الخريطة العالمية الثقافية أو التاريخية.

كل سلوك غربى محمود عندنا، فى الكتاب مســطوراً، أو فــى الروض النضير من كلام سيد المرسلين.

فالحفاوة بالعلم أول آية أنزلت فى القرآن حضا عليه والتــزاحم حوله بالمناكب قال تعالى ﴿أقرأ﴾ [العلق:١] وقول المصطفى ﷺ "اطلبوا العلم ولو فى الصين ".

وتكريم أهل العلم ورفعتهم فى قوله تعالى : ﴿قُلْ هَــلْ يَسْــتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر:٩]، وفى قوله: ﴿يَرْفَــعْ اللَّــهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: ١١].

فالإسلام دين التقدم، الذى صنع الحضارة التى تجمع بين المادة والروح فى تناغم خلاب ؛ العقل مع القلب، والمثالية مع الواقع، وهو ما جنحت فيه حضارة الغرب إلى اليوم بسبب الفراغ العقائدى والعطــش الروحى رغم التقدم العلمى.

وإذا سأل سائل عن إتقان العمل وجودته فيقول الله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَــنَ عَمَــلا﴾ [الكهف:٣٠] وجاء فى الأثر " إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه"

وبقية السلوكيات الممدوحة عندهم، ينابيعها فياضة عندنا مفصلة منذ أربعة عشر قرن من الزمان، فالنظافة عنوان المسلم الحق، يقــول

تعالى فى القرآن الكريم: ﴿وثيابك فطهر﴾ [المدثر:٤]، ويقول تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

وشريعتنا وأخلاقنا غنية وثرية بسلوكيات نفاخر بها لم تنضم إلى إيجابياتهم بعد. يكفينا فى هذا الصدد أن أكبر كابر من أهل الطب من أهل الغرب لا يعرف التطهر من الخبث - من التغوط أو الجنابة - وهيهات أن يستوى الورق الذى يستخدم فى التنظيف والتشطيف من الماء الطهور الذى يستأصل الخبث والأدران، من منهم يعتزل النساء فى المحيض ؟ أو يتجنب لحم الخنزير وأقل أضراره أن تضعف الغيرة الجنسية عند الجنسين، ويصاب بالدودة الشريطية، فضلاً عن انتشار قمل العانة عند الكثير منهم مع توافر الوجاهة الفطرية.

وعن الحرية والإخاء والمساواة، فكل أولئك أوليات عندنا، فالديمقراطية الغربية ولو أعجبك حسنها من وضع البشرية، ولا عصمة لفكر بشري، ومن ثم تتكشف عوراتها حينا بعد حين، فنوادى العراة من مباهج الديمقراطية، أما الإسلام فهو نظام شامل وكامل يستوعب الديمقراطية الغربية بكل ما حوت فى إيجابياتها، ويرتفع عن سلبياتها ليبلغ درجة السمو، فهو ليس مقصورا على السياسة وإنما يتسم بمبادئ الأخلاق التى لا يمكن للديمقراطية أن تصل إليها، جمع فأوعى، ولا غرو حينئذ أن يدلى الكاتب البريطانى الشهير (ديفد ماكداول) فيقول فى مؤلفه (أوروبا والغرب): إن الديمقراطية ليس ملكية أوروبية، بل الإسلام هو الأكثر ديمقراطية سيما فى مطالعه [1].

---

(١) الأهرام ١٣/٩/١٩٩٣م.

وإذا كان هناك خلل بين مبادئ الدين وواقع المسلمين في أي عصر ومصر فلا يحسب ذلك على الإسلام، وإنما على من فرط من المسلمين.

يضاف إلى ذلك أن الغرب لم يجتمع سادته وكبراؤه على كلمة سواء في شأن الديمقراطية، فها هي الديمقراطية الماركسية التي زلت لها الرقاب، وهناك ديمقراطية رأس المال التي حولت الغرب إلى طائفتين فجعلت أهله شيعا، ونبت في ظلها تشريعات الإباحية وشاع في سرادقها التفكك الأسري.

والتخطيط النابه الذي تفوق به الغرب وارتقى، القرآن الكريم قد قننه منذ أربعة عشر قرن من الزمان ﴿..لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ﴾ [الحشر- ١٨]

. وفي سورة يوسف درس مجيد لأساتذة التخطيط ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ * ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ * ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ [يوسف: ٤٧-٤٩]

ومبادئ الاقتصاد في الإسلام رواسي شامخات، تحول الجبال إلى جنات معروشات، علم هائل يفتقر إلى التطبيق، ولو طبقت مبادؤه كما هي مفصلة على علم عندنا لأصبح الناس في رفاه دائم، ولو أن أوروبا استوعبت نظام الزكاة في الإسلام لامتنع صراع الأحزاب أو الطبقات وشاع التكافل، ولما ظهر كارل ماركس بأبخس النظريات التي أضلت العلم سبعين عاما وأردت دولا مواطن الردى.

والخلاصة أن كل سلوك ممدوح فى الغرب هو فى الأصل بضاعتنا مهما ضربت علينا الذلة أو التعتيم الثقافى.

ب- الإسلام سبق الغرب فى (الاتيكيت) [1]:

منذ ألف وأربعمائة عام من الزمان دعا الإسلام الناس إلى كل سلوك حسن محمود ممدوح بهدف الارتقاء بالإنسانية، ورسم صورة طيبة لشخصية المسلم وآدابه تتناسب مع كل عصر ومصر، وإذا كنا الآن نطلق على فن التعامل الراقى مع الآخرين كلمة " اتكيت " فإن الإسلام قد بلغ فى ذلك شأنه وشأوه قبل أن يعرفه الغرب، فلم يترك صغيرة ولا كبيره دون الإلمام بها.

وقواعد الاتكيت على هذا النحو مبسوطة فى كتب الفقه والأخلاق والسلوك تهتم باللباب دون القشور، ومن ثم كانت هناك آداب المائده وآداب المجالس وآداب التحية والاستئذان، ومن ذلك مثلا أصول التعامل مع المرأة ومعاملة الأولاد والجيرة والعشرة، فمن آداب المائدة مثلا أن الدعوه سنة مستحبة وإجابتها فرض على المدعو وبذلك ينتشر الترابط والتراحم والمودة، ومن ذلك أن يأكل المرء من أمامه ولا يغوص بيده فى كل الوعاء وأن لا يضع فى فمه طعاما كثيراً ويشرب من كوب الماء على ثلاث مرات، وشرع التسمية قبل الأكل والحمد بعده، كما نهى عن التنفس فى الإناء، وعن الذهاب إلى المسجد لمن أكل ثوما أو بصلا وهذه الآداب قمة فى الاتكيت، لأن فى الغرب تفوح رائحة الخمر من كل الحضور دون أن يتأذى كبير أو صغير فى

---

(١) انظر: محمد عبد القدوس، تعاليم الإسلام قمة الاتكيت ، مجلة كلام الناس العدد ٤١٥ ، ٢٧ أبريل ٢٠٠١م وانظر الأهرام فى ١٣/ ١٢/ ٢٠٠٢

ناديهم، وهناك قمة الاتكيت أيضا فى علاقة الرجل بالمرأة الأجنبية بما يحفظ عليها كرامتها ويصون عرضها، وإذا كان هناك فى الغرب تقليد يقول " ليدزفيرست " أى (النساء قبل الرجال) فإن الإسلام قد سبق فـــى تقعيد هذه القاعدة وكان دأب الرسول ﷺ انى لو كنت مفضلا أحداً فـــى العطية لفضلت النساء أولا.

· والتحية الغربية هى تلك الابتسامة المصطنعة، أما فى الإســلام فهى إدخال السرور على الغير بما يبعث الطمأنينة فـــى الــنفس، وأن تتجمل بمكارم الخلاق مع من نلتقى بهم بصرف النظر عـــن اخـــتلاف دينهم أو جنسيتهم.

أما عن **فن المجاملة**: ومنها "مجاملة الجيران والضيوف وزيارة المرضى وتقديم التعازى فقد أوصى رسول الله ﷺ بضرورة مراعاة حق الجار وإكرام الضيف بقوله : **من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت)**، وكان رسول الله ﷺ يـــزور المرضى ويشهد جنائز المسلمين ويلبى الدعوات.

أما عن احترام المواعيد: قال الله تعالى : **﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ﴾** [النحل:٩١] ولقد أكد الإسلام ضرورة المحافظة على المواعيـــد وعدم التخلف عنها إلا لعذر قاهر خارج عن الإرادة، وفى حالة التخلف عن الموعد يجب الاعتذار.

أما عن مراعاة الأولوية: "العطف على الصغير ومراعاة حـــق الكبير" فقالَ رسول الله ﷺ : **(ومن لم يرحم صـــغيرنا ويـــوقر كبيرنـــا ويعرف لعالمنا حقه فليس منا)**.

أما عن آداب الزيارة وضرورة الاستئذان، فقال تعالى : ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ * فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٢٧-٢٨].

فمن آداب الزيارة ضرورة الاستئذان واختيار الوقت المناسب وتحية صاحب البيت.

أما عن المصافحة : فكان من أفعال الرسول ﷺ إذا لقى أحداً من أصحابه بدأه بالمصافحة ثم أخذ بيده فشابكه ثم شد قبضته عليها.

أما عن آداب الجلوس : فلم ير أحد الرسول قط مادا رجليه بين أصحابه.

أما عن آداب الطريق : فقال رسول الله ﷺ: **(ليسلم الراكب على الماشى والماشى على القاعد والقليل على الكثير).**

أما عن عدم رفع الصوت عند التحدث: فقد قال الله تعالى : **﴿إن أنكر الأصوات لصوت الحمير﴾** [لقمان: ١٩]

وباختصار شديد فإن الاتيكيت الغربى ليس له هذا التأثير النفسى القوى مثل قواعد الذوق الإسلامى، لأن الإنسان قد يلتزم به مرة ويتركه مرات، أما التعاليم الدينية فلا تفوت المؤمن الصادق والمؤمنة، وعندنا فى هذا كتب المحاسن والمساوئ وهى بحور بلا شطئان لمن شاء أن ينهل أو يستزيد.

سادساً : تحصين المبعوثين :

المسلم فى الخارج يحيا حياه كريمة فى مناخ رقراق، والمبعوث المسلم صاحب رسالتين، رسالة فى الاغتراف من العلوم الراقية فى عصر التواصل الثقافي، ورسالة فى عرض دين القيمة، ودعوانا أيها المثقفون أذهبوا إلى ديار الغرب غير خزايا ولا مفتونين، فانتم أمل امتنا فى إنقاذ واقعها المريض لتعود إلى مجدها المجيد.

ولكن المشكلة فى أن المبعوث إلى الغرب غالبا ما يذهب دون حصانة فكرية، بل يحمل فى طياته شعورا بالدونية وركاما من ثقافة هابطة، وهان عليه أن يعى أن العلم لا شأن له بالسلوك، أمامه كتاب الكون المفتوح بعجائبه وغرائبه، ولكل أمة سلوكياتها التى لا تتصادم مع العلم. تلك السلوكيات قوامها الاعتداد بالذات.

فالعلم ينظر فى الخمر مثلا فيكشف مدى إثمها ونفعها فى الجسم، بينما يترك لرجال الدين والأخلاق كلمتهم فى حلها وحرمتها، وهنا يرتكب خطأ كبيرا من يربط بين التقدم العلمى فى بلد وبين أخلاقها، فقد يجتمعان وقد ينفصلان، وقد يجتمعان كما كان فى صدر العصر العباسي، وقد ينفصلان كما هو الشأن فى المدنية الغربية المعاصرة، فقد خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا فى ميدان السلوكيات، إن الدين يجمع محاصيل القرون الأولى من الأخلاق والسلوكيات ليقدمها لطالبيه سائغ شرابها، فيعصمهم من اضطراب الفكر وعثرات السلوك وهناك ثلاث قواعد ذهبية على المبعوث اتباعها، وهى : علم أبناءك اللغة العربية، ثم الدين بعيدا عن الخرافة، ووسع من علاقاتك وأصدقائك.

والاندماج فى المجتمع الغربى حتما مقضيا، ولكن الاندماج الإيجابى وحده بإيجابيات الإسلام أو محاسن الغرب، وباختصار شديد فإن المبعوث الحصين من رسل رسول الله ﷺ، فى عصرنا هو حامل رسالة ينثرها وينشرها بذكاء مبين فى تربة خصيبة تؤسس بنيانها على عدل الحكام وعلم العلماء، وأنت أيها المبعوث فيهم حين تعود أدراجك إلى ديارك يطوق عنقك أمرين؛ أولهما: ألا تعود لنا بسلبيات الغرب، ومن هنا تكون المناعة السلوكية، وثانيها: عاشر عشيرتك بلغتهم وأعرافهم يعلو شأنك وشأنهم فتلك الأصالة مع المعاصرة.

على أنه مما يبشر المؤمنين أن هناك اليوم صحوة إسلامية ومراكز إسلامية، وإن كان دورها محدود أو مفقود، إلا أن هناك مبعوثين من صالح المؤمنين مَنَّ الله عليهم بالحصانة الفكرية فهم بمفازة من كل تيار معاد، لا بل هم منارة لنا فى الغرب، معقود عليهم الأمل إن خالطوا أبناء المجتمع الغربى فى أن يدخل عاقلهم فى الدين، فالمناخ ملائم والتربة خصبة كما أسلفنا لما يتميز به هؤلاء من سعة فى الصدر ورحابة الأفق وترحيب بثقافة الإسلام، وهنا تكون الرحلة قد أتت أكلها ضعفين مرة فى الصمود أمام رخيص التقاليد ومرة فى كسب مسلمين جدد سيما وأنهم يأخذون الكتاب بقوة.

الفرع الثاني
القدوة السلوكية

صالح المؤمنين بعد ذلك ظهير

أولاً : دورهم المنشود :

﴿ فَلَوْلا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِـى الأَرْضِ﴾ [هود: ١١٦] إن آلف المعصية لا يعنى الرضا عنها، والرجوع إلى أعرافنا الطيبة لا يكون إلا على يد كل طبيب ماهر بأمراض واقعنا، وتلك مهمة صالح المؤمنين قبل الدعاة الرسميين.

نعم دور الأسرة قد تراجع، فلم يعد هناك تربية حقيقية سيما بعد أن أصبحت المدرسة معهداً للتلقين وموردأ للدروس الخصوصية، ولكن لا يزال الأمل معقودًا عليها لأن الأسرة مؤسسة تربوية، ودورها مرتقب ومأمول فى تنشئة أجيال فتية قوية فى دينها، قادرة على امتصاص سلبيات العصر، والكتاب يراهن اليوم على أنه سيكسب الجولة القادمة لو غمر وعمر بيوتنا، وهذا أول مسئوليات الأسرة باعتبارها حائط الصد الأول ودرع الوقاية من الرذائل السلوكية.

وصالح المؤمنين هو يهتم بنثر ونشر السلوك الإسلامى المحمود وإذاعته وإشاعته من غير تشنج أو انفعال أو حماقة، فهم الحصن الحصين الذى يمنع زحف الخسيس إلى النفيس.

إن الكتب وحدها على أهميتها لا تربى، فكم نأمل أن يكون فى كل مدينة أو قرية واحد من هؤلاء الربانيين الذين يقومون على الثغرة التى ينفذ منها الشيطان وأعوانه لعرقلة السير وتأخير النصر.

والهموم التى تعانى منها الأمة نوع من المعاناة الطبيعية التى تعترى مسيرة الأمم الكبرى، وعلاجها مرهون بأولى العزم، ورصيدنا منهم رجالاً كثيراً ونساءاً صدقوا ما عاهدوا الله عليه، أفاء الله عليهم بالفقه الجيد أو الإبداع فى مواطن الابتداع للبناء.

فحراسة القضية الإسلامية وبناء بنيان الإسلام والحرص على أجياله الشجعان، إنما كانت ترتكز على التقويم والتبصير المستمر بالأخطاء، فإدراكها أولى درجات علاجها، وبعدها مارس جيل القدوة الأول، وقرن الأسوة الأفضل فى العصر الأنور، النصح معنى وحقيقة، فأتى ذلك بأنضج الأثمار.

إن مشكلتنا هى فى حضورنا وليست فى حضارتنا، أين الحملة الوارثون هل هم غائبون؟، إن وعد الله لا يطال من ادعى وإنما من وعى. والتمكين فى الأرض حق لا يناله الخامل وإنما الفاعلون[1] ومن هنا كان الدور على صالح المؤمنين إزاء تقاليد المنصرين.

إن كثيراً من شرائح المقلدين من قبل أن يكونوا من الخوالف هم مجنى عليهم، لأن عوامل الجذب إلى الردئ كانت أقوى، ومن ثم فلا نتركهم يتخذوا رؤساً جهالاً.

ولكن من الذى يهدى الحيارى فى عصر تختلط فيه الرؤى بالضياع الدينى، هم صالح المؤمنين دائماً فشعارهم كن داعياً بسلوكك، فالدعوة بالأفعال لا بالأقوال فهى للدعوة الحقيقة الفعالة فمحياه ومماته لله رب العالمين، ومن ثم فإن سلوكياتهم تفرز لنا عسلاً مصفى، لا تفتر هممهم فى أن يأخذوا الكتاب بقوة، فسرعان ما تتولى إلى الظل تلك

(١) د. محمود عصام، ملحق الإيمان الإنباء الكويتية فى ٣١/٣/٢٠٠٠م.

التقاليد الوافدة بفضل رواد السلوك الأحمد، لأن النفس بطبيعتها تقبل على التقاليد، فالصاحب ساحب الطبع مكتسب من كل مصحوب، فكم نتعلم من أهل القدوة أموراً كثار، كالصلاة فى المساجد لا فى البيوت مع النسوان، وتعظيم حرمات الله فى نادينا سيما فى حضرة المترفين والمأزومين والمثقفين المتفرنجين باحترام الحواجز بين الحلال والحرام، وتغليب المودة على المادة و الحفاوة البالغة بأعرافنا، كالاحتفال برأس السنة الهجرية قبل الميلادية، وكم تحولت امرأة متيمة بالغرب إلى مسلمة جيدة فى مظهرها وجوهرها، وكم من أعراس إسلامية خلت من منكرات الزفاف الغربية، وكما يرى حجة الإسلام **الإمام الغزالي**، الاهتمام بالجانب العاطفى لدى المسلم بالترهيب من المساوى والترغيب فى المحاسن؛ وإزاء ذلك أفلست فلسفات الغرب، التى تصر على استحالة تبديل الإنسان لأخلاقه من الخبيث إلى الطيب، فاشهروا إفلاسهم فى بلوغ التكامل الأخلاقى أو التوازن النفسى رغم التقدم العلمي!!

صالح المؤمنين قادرون بنعمة الله على تحويل المحنة إلى منحة، بتوجه ذويهم إلى إعادة اكتشاف الذات المسلمة، لا ينتابهم التثاؤب فى عملهم فهم أيقاظ وليسوا ركوداً، لا يتصادمون أبداً، فكل منهم له موهبة فى الجذب السلوكى، خذ مثلاً لذلك فى مصر، فلقد أنشأت بعض البنوك التجارية فروعاً لها للمعاملات الإسلامية تجذب إليها المودعين المستثمرين الذين يودون أن تكون كل معاملاتهم على المنهج الإسلامى الذى لا يشترط فائدة سلفاً عند إيداع الأموال، وهذه الفروع الإسلامية كم جذبت إليها آلافاً مؤلفة من أصحاب رؤوس الأموال، وذلك بفضل الصالحين من القائمين على إدارة تلك البنوك.

وكذلك فى قطارات المترو بالقاهرة عربات مخصصة فى كل قطار للنساء فقط فى أوقات الذروة والازدحام حيث تعانى النساء كثيراً من مزاحمة الرجال فكان هذا علاجاً شافياً وكافياً لاجتياز مواقف ترهق المرأة، ولا ريب أن من اتخذ مثل هذا القرار هو من صالح المؤمنين وهلم جرا.

وفى (أبو ظبي) مثلاً جائزة البر، مثلاً يحتذى به، يكتب لصالح المؤمنين فى صحائف أعمالهم، قصد بها تحفيز الأبناء الأوفياء بأهلهم برصد جوائز تشجيعية لهم، رداً على بيوت المسنين والتى هى عرض لمرضى الجحود ونكران الجميل ممن عبد الزوجة.

مثال رائع : إمام القانونيين ينصح أتباعه احذروا التقليد

السنهورى هو إمام القانونيين بلا منازع، جمع بين الثقافتين العربية والغربية وقد خلص إلى القول بأن الغرب تشرق عليه شمس ساطعة أحدقت فيها طويلاً ثم أدرت وجهى إلى الشرق فخيل إلى أننى أنقل شمساً أوسع مدى وأسطع نوراً إلى أرجاء الشرق الواسعة، ولا أزال أرى الشمسين شمس الغرب الساطعة وشمس الشرق أبهى وأسطع وقد تضاءلت أمامها شمس الغرب.

ثم يقول أريد أن يعرف العالم أن الإسلام دين ومدنية، وأن تلك المدنية أكثر تهذيباً من مدنية الجيل الحاضر، وقد فسدت قواعد الاجتماع التى يسير عليها؛ أن يسعى إلى مدنية نمت وازدهرت فى عصور كان الجهل مخيماً على ربوع العالم الغربى، ثم يقرر أيضاً أن الغرب لا

obeikandl.com

يحسن تقليده إلا فى الأشياء المادية ولا ينازع فيها، أما الأشياء المعنوية فيحسن بالشرق أن يواصل تاريخه المجيد دون أن يقلد الغرب.

الإسلام أقوى، لا تهضمه الجيوش ولا الاستعمار، ويحاول الغربيون أن يحولوا الإسلام إلى مجرد عقيدة لا شأن لها بالقومية حتى يسهل عليهم تمزيق الأمم الإسلامية كل ممزق[1].

ثانياً : منهاجهم الرشيدة :

١- تجاوز التعبير إلى التغيير :

البداية والنهاية هى الانتقال إلى مرحلة الخيرية التى نعتنا بها القرآن الكريم، فتعى جيداً أن المحاكاة من جانب الناشئ أهم له من النصح المباشر، وهنا يقول ابن خلدون بالحرف الواحد "فليكن إصلاحك لتلميذك إصلاحك لنفسك، فإن عيونهم معقودة بعينك، فالحسن عندهم ما صنعت والقبيح عندهم ما تركت، علمهم كتاب الله ولا تملهم فيه فيكرهوه، وأروى لهم من الحديث أشرفه ومن الشعر أعظمه[2].

والمقلدون وإن كان كبر علينا إعراضهم، فإننا حين نعى عملية الاتصال والإرسال والاستقبال بشكل جيد، تولد لديهم شوق ولهفة تنزع بهم إلى أصولهم وقيمهم بدلاً من اتهامهم، وحينئذ فلن يدخلوا مع الداخلين فى سرادق الإمعات، إنهم شجيرات طيبة فى بستاننا، فبركاتهم تحل أينما كانوا تدرأ عن أمتنا غوائل سوء المنقلب والتحول إلى أمة تابعة مع الخوالف.

---

(١) انظر المستشار على فاضل ، الأهرام ٢٠٠٣/٧/٢٨ . شهادة حق.

(٢) ابن خلدون، ص ٥٤٠ وما بعدها

٢- مشروع الولد الصالح واستزراع القدوة السلوكية :

فأجيالنا فى المقام الأول نتاج نسل طاهر، وثقافة بناءة، وقرآننا يهدى إلى الرشد، وناشئنا بيته يذكر فيه اسم الله كثيراً. أمه ترعرعت فى بيت يتلى آيات الله والحكمة، مظهره وجوهره التطابق بين مبادئ الدين وواقع المسلمين، التقاليد الوافدة يصارعها فيصرعها، وليست هذه مثالية ترتجى، وإنما هو واقع ملموس نتاج البيت المسلم وحينئذ ينشأ ناشئهم على ما يكون عوده أبوه، محصناً من كل تيار هادم.

وإن الشغل الشاغل لرب الأسرة يجب أن يكون هو الحفاظ على الهوية الإسلامية ومن هنا يكون الولد الصالح عنواناً لها، لأنه نتاج أسرة وقودها الثقافة الإيمانية، فهى حصن حصين للدين تقدم لنا المسلم المتين، ومن ثم فهو بمنجاة من المزالق السلوكية التى تخلق جيلاً مائع الهوية.

ولا شك أن أدب الحوار لا الشجار يقدم لنا أجيالاً فى السلوك سوية، أجيالاً فتية قوية لا قطعاناً تساق أو تنساق.

ولا ريب أن العناية بالولد تبدأ إذا بلغ الأطفال منكم الحلم، لا بل قبل ذلك، منذ النشأة الأولى، حين ينهل من صحف مطهره، وحدائق ذات بهجة من كلام سيد المرسلين، وحينئذ فهو إلى جيل النصر لا إلى جيل الهزيمة.

ولا ريب أن الدعاء لهم يصلح بالهم ﴿وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِي﴾ [الأحقاف:١٥]

٣- الداعية الداهية والمنهج الأحمد:

هم حماة الدين من انتحال المبطلين وتأويل الجاهلين، كمركسة الإسلام وأرسملة الإسلام، موهوبون على العطاء الفكرى، واسع الصدر دقيق ينفذ إلى أوضاع عصر، ويدرك إيجابيتها فيستغلها وسلبياتها يخترقها، ولكن بأسلوب أخاذ، فالداعية الحصين يعرف الصفح الجميل لا يضيق صدره بما يقولون أو يراهم يفعلون، يحمل عنهم أثقالهم الفكرية، على يقين من أن الباطل زهوق لا يصمد أمام دعوة الحق.

والداعية الداهية ليس خصيماً مبيناً للمتيمين بالتقاليد، فلذلك منهاج الضعيف، وإنما يقرع ثقافتهم بثقافته وفكرهم بفكره، فهؤلاء قد لا تجدى معهم الاستدلال بالآيات الكريمة أو الأحاديث الشريفة، فقلوبهم غلف، ومن ثم فهم يحتاجون إلى السلوك السوى والحجة البالغة والكتب القيمة وفى ذلك فليتنافس المنافسون، وصدق الله العظيم ﴿**بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ**﴾ [الأنبياء:١٨].

فالوثبة الحضارية المرتقبة لن تكون على أنغام بتهوفن كما يغرر بهم سماسرة الغرب وعشاق فنونه ولذائذه، الذين عموا وصموا عن التفرقة بين معجزات الغرب وموبقاته، نقول لأجيالنا الصاعدة لا ترجعوا من منتصف الطريق فالله غالب على أمره، سواء بكم أو بغيركم.

وأعناق المفكرين يطوقها التزام بصياغة الجيل وحمايته من نفسه، حتى لا يتأكل من الداخل بفعل كيد الكائدين، فالشباب تربة خصبة لأى سلوك حتى لا يتحولوا إلى أذيال تجر.

ولن ينفع اليوم ما يذهب إليه كتابنا وهم يشرحون لنـــا عمليـــة اصطدام الغرب بالعالم الإسلامى، فيقدموا لنـــا فهرســـاً طـــويلاً مـــن مؤامرات الغرب علينا، فهزائمنا فى ميدان السلوكيات كانت بفعلهم كما كانت أيضاً مما عملت أيدينا كما أسلفنا.

على أنه يجب أن يكون مفهوماً أن التغيير المنشود فى الســـلوك ليس وقفاً على الأئمة المحترفين، وإنما هو واجب إسلامى يطوق أعناق الجميع، كل مسلم يجمع بين الكياسة السياسة والثقافة بعيداً عن التشنجات والإنفعالات وعلى كل من أنعم الله عليه بالحكمة والموعظـــة الحســـنة، وباختصار شديد فإن أرباب القدوة فى المجتمع الإسلامى بيدهم مفـــاتيح التغيير دون تغيير أبنائنا، وحينئذ نترقب فتحاً قريباً، تحول أجيالنا مـــن مقعد الخوالف إلى مكان الصدارة، ومن التبعيـــة إلـــى القيـــادة نتيجـــة تخلصهم من عقدة الخواجة **﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّـــلاةَ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾** [الأعراف: ١٧٠]

واليسر الذى عرف به الإسلام كفيل بأن يغرى السالكين فى التيه بأن يعودوا أدراجهم إلى ديارهم وقيمهم، والداعية الداهية يستخدم الدهاء مع الأصدقاء، إذا دخل بيتاً مسلماً ورأى فيه مثلاً صورة شبه عارية أو تمثالاً لبابا نويل على النمط الغربى يجسد الإله بزعمهم وهو ســبحانه وتعالى ليس كمثله شئ، فإن سبيل الرشد ألا يحطم التمثـــال أو ينـــزل الصورة فذلك أسلوب مدمر، يدعو للتذمر سيما وأن الحمـــق لا يجـــذب الحيارى بل يغرس العداوة.

وبالجملة فهو لا يضيق بصدره بما يقوله أدعياء التطور الموهوم فى القشور، فالأمر يحتاج إلى طبيب حاذق، وحينئذ يتبروا بأنفسهم ما علوا تتبيراً.

والغيرة المحمودة هى أولى المحاسن، فهى تشحذ الهمم وتربى القيم، وعند أهلها يتوسم الخير عاجله وآجله، والمسلم الغيور على قيمه وأعرافه من التحلل والاندثار ولا ريب أنها مسئولية الأخيار فالزوج الغيور لا يطيق أن يرى زوجته الشابة عارية الأكمام والصدور والظهور ومتبرجة بزينتها لغيره وكذلك الأب الغيور فهو السراج المنير.

٤- اختراق المنتديات :

نوادى المثقفين والمترفين، مواطن الداء بل أثخن الميادين بالجراح التى تعج بالمراهقين والمراهقات وأولاد الذوات، والمولعين بالتقليد والعاشقين للتجديد، الفقراء فى الثقافة الإسلامية، شعور متدلية وتسريحات غريبة، وأفخاذ عارية، وصدور مكشوفة، وهم كالسيل الجارف أو الجواد الجامح، فى حاجة نفسية ملحة إلى من يضبط شاردهم حتى لا تستسلم عقولهم لعواطفهم، وتلك مسئولية النابهين الصالحين ممن يؤسسون أو يحاضرون من سدنة الدين المخلصين، كل منهم بطريقتهم المثلى، حسن البيان أو فصاحة اللسان أو لسان الحال، وحسن الظن بأجيالنا يتطلب علاجهم لا تركهم، لأن هؤلاء المتيمين نسوا خطأ ما ذكروا به أو غاب عنهم وليهم، ومن ثم فعلى الأئمة أن يكونوا لهم مناراً يجذب الحيارى، وحينئذ نسدد ضربة قاضية إلى التقاليد فى عقر دارها.

٥- التفاؤل وفقه المرحلة :

الدعوة إلى رحابنا لا يدخل فيها العجول أو الملول، لأن المعركة مع وافد التقاليد قد تطول.

إن للتقاليد قوتها كما يقول شيوخنا، والناس تحكمهم تقاليد شديدة ويتوارثون أفكاراً يحتاج نقدها إلى زمان غير مقيد، فهى كالأهواء لها سلطانها والخلاص منها لا يتم بين عشية وضحاها[١]

فتغيير السلوكيات من الطالح إلى الصالح أمر قريب المنال، ولكن بخطة محكمة، واستعجال الحل ليس فى صالحنا، فالزمن عندنا جزء من العلاج، ورحلة الدعوة كرحلة القطار، ولكنه قطار متأنى فهناك ما يسمى "**فقه المرحلة**" أول فصوله أن بناء الإنسان يبدأ قبل بناء الدولة، والمقدمات تبدأ فى جيل والنتائج تظهر فى جيل آخر. فلا بد من التريث حتى تؤتى الدعوة أكلها كل حين بإذن ربها ﴿**وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ**﴾ [الصافات:٧٥]، ولنا فى رسول الله (ﷺ) أسوة حسنة فالرسول (ﷺ) مكث فى مكة المكرمة ثلاثة عشر عاماً يدعو إلى الله على بصيرة، لم يكسر صنماً أو يحطم حجراً وقد كان مؤيداً بالنصر الإلهى.

ويحتاج الأمر لفترة نتواصى فيها أو نتلاوم ولكن دون تنازع تذهب معه ريحنا، فاستعجال الثمرة قبل نضجها يأتى بثمار فجة، والتخلص من شؤم التقاليد يحتاج أمداً قد يقصر أو يطول، ولطرح البدائل الإسلامية والواقعية الجذابة والتى تنزع المأزوم من إغراءاته، وإن كثيراً من الحركات الإسلامية التى تساقطت فى وسط الطريق قبل بلوغ الهدف كانت تفتقر إلى دعامة التدرج، وكانت تتحرك بمنطق الطفرة أو اختزال المراحل، فعزّ عليهم النصر وكان قريب المنال.

---

(١) د. محمود عمارة، أصول الدعوة، ص ٩٦

obeikandi.com

٦- الحذر من الوقوع فى مغبة اليأس

كما يجب الحذر من تفشى الشعور بالعجز، وانتشار روح السلبية التى تؤدى إلى تهاون الناس وترك الآخرين يشكلون مستقبل أوطـانهم، وعلى المثقفين مسؤولية تخفيف ضغوط اللحظة الراهنة، مستعينين فـى ذلك بمخزون الثقافة العربية الإسلامية من قيم الحق والعدل والتعـاون والصبر والأمل، فالخير لا ينهزم والشر لا ينتصر، وفى ذلك سياج منيع يؤمن الحماية الكافية لقيمتنا العربية الإسلامية.

إن الغرض هو بناء إطار نفسى مشبع بروح الثقة وتهيئة البناء الذاتى وتعزيز قدرته لمقاومة الغزو السلوكى، ولابد من الاتجـاه نحـو تشخيص بعض الأعراض المؤثرة فى المجتمع وتكاد تمنعه من التقبـل والاستيعاب والقدوة متمثلة فى تأمين الغذاء والمسكن للسـكان، وخلـق فرص العمل، ومعالجة المعضـلات الاجتماعيـة المتزايـدة، وتهيئـة مستلزمات التعليم والخدمات الصحية والتوظيف، إضافة إلـى مـواطن الحرمان الأخرى.

إن توفير الحدود المأمونة لهذه المآخذ فى المجتمـع الحضـرى العربى يرسخ الإطار الذاتى لشخصية الفرد العربى بمـا يمكنـه مـن مواجهة أى تحد خارجى (١).

٧- الثوابت الإسلامية تجرى فى عروقنا:

مهما غفل عن ذلك الغافلون فإن العالم الإسلامى يمتلك ثـروات طائلة وكنوزاً ثقافية هائلة وذلك بفضل الثوابت الإسلامية التى تنتقل من

(١) محمد صالح العجيلى (مرجع سابق).

جيل إلى جيل، وقد أفشلت الفكر القومى رغم سيطرته وهيمنته فى السنين الأخيرة والذى كان يرنو إلى إبعاد الإسلام عن أهله فأبعده الإسلام، فالثوابت الإسلامية تهب الديمومة لهذه الأمة، وقد أفلحت أيضاً فى إجهاض الاجتهادات المغرضة والتى تزعم بنسبية الحقيقة فى تأويل النصوص ومعطيات الدين لصالح السلوكيات الوافدة، فدستها فى التراب وأجهزت على زمرة السماسرة والأتباع الذين كانوا يحملون معاول الهدم مرتكزين على بعض سلبيات العصور الإسلامية فهدمتهم وهزمتهم الثوابت واسكنتهم حظائر سوس البشر، ومما يحسب لحكام المسلمين أنهم حافظوا على الثوابت الإسلامية من الهدم رغم ما قد يبدو منهم غير ذلك.

إن التحدى الحضارى والسلوكى يقوم على الاعتصام بثوابت الإسلام عقيدة وشريعة وأخلاقاً، وتقديمها للإنسانية على أنها حل لمشكلات البشرية بعد أن أفلست الحلول الوضعية.

ثالثاً : وصالح المؤمنين فى ديار الغرب :

ماذا قدموا وأخروا وهم منبثون فى أرجاء واسعة من المعمورة، إيجابيتهم بغير حساب، رحابة فى الصدر، وسعة الأفق، وحب التعلم، والإقبال على الجديد النافع، وفى حوزتهم وسائل التقنية العصرية لعرض بضاعتنا بعيداً عن التعتيم الذى فرض على ديننا.

فالمسلم المغترب هو سفير فوق العادة لنا، عتاده جملة المحاسن التى حفظت للإسلام سيرته ومسيرته، والمنصفون من أهل الغرب يودون التعرف على أعرافنا وقيمنا بعدما يئسوا من دينهم.

. لقد رسم لنا التجار العرب نصف خريطة العالم الإسلامى من قبل بسلوكهم الوضاء وخلقهم النبيل دون تكلف، وهو ما يغرى الآخرين بالدخول فى دين الله أفواجاً.

لماذا لا يكون النظام العالمى الجديد هو دين القيمة، ليواجه الإفلاس المضاعف الذى منى به النموذج الغربى فى قيمه وشيمه.

وباختصار هم سفرة كرام بررة نربأ بهم أن يتحولوا إلى مشد وهين، أو منهزمين، فليعلموا علم اليقين أن دنينا قد أفرز عسلاً مصفى. وعليهم أن يميزوا بفطنتهم بين المحاسن والمساوى على نحو ما أسلفنا، والأوربيات المسلمات وهن مفخرة لديننا وديننا مفخرة لهم، على الرغم من نشأتهن فى كنف أصحاب الملة الأخرى إلا أنهن يأخذن الكتاب بقوة أكثر ممن يقترن بهن من أزواج مسلمين، فكم ننتظر الكثير على أيديهن من تعظيم أعرافنا سيما وأنهن ممن أكرمهن الله برجاحة فى العقل، وزادهم من زاد العقول فأضحوا منارة لديننا، وصدق الله العظيم القائل: ﴿وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم﴾ [محمد:٣٨].

رابعاً : سلوكياتنا لن تتولى إلى الظل بفضل خير البرية:

إن الشعوب عندما تشعر بالخطر تبحث عن كيانها وذاتها، فالمجتمع لا يستقيم عوده أبداً إذا استورد نموذجاً من خارج تربته، وبالنسبة لأبناء خير أمة، مهما اتسع نطاق المؤامرة أو تراخى الرماة فى الدفاع، فإن لنا من ديننا دروعاً تعيننا على صد كل غزو سلوكى، فالمسلمون أمة لا تقبل الانصهار أو الاحتواء، ولكن زحزحة العدو لا تتم بين عشية وضحاها، بل يحتاج الأمر إلى تخطيط نابه سدنته هم

الصالحون من عبادنا، وقد بث الله منهم رجالاً كثيراً ونساءً، وهاكم آية بينه، فلقد هزم أبناء الإسلام دولة الماركسية وأشياعها من الاتحاد السوفيتى فى أفغانستان، بإذن الله فزلزلت دولتهم التى أسست على بينان من أنجاس الفكر سبعين عاماً.

فكم من خطوب جسام أعترت مسيرتنا بسوء فكشف الله الغمة على أيدى نوابغ الأمة، فالأرض الطيبة يخرج نباتها طيباً بإذن الله، وإن ضلت الأمم طريقها فالمسلمون لن يضلوا أبداً.

خامساً : ونساء المؤمنين :

عن طريقها تم اختراق المجتمع الإسلامى، وعن طريقها أيضاً تصد التقاليد، نعم فهى أقوى الفرسان فى هذا الميدان، بل تستطيع أن تتسابق بجوادين، والنصر معقود لها، وعلى قدر زادها من ثقافة دينها يتعاظم دورها أو يتضاءل.

هى بيدها الحل والعقد، ودور البطولة هنا معقود لها، فهى تستطيع أن تقوم بكل الأدوار فى معركة التقاليد، سما إن كان عندها الزاد الثقافى البناء الذى يمحو الشعور بالدونية، ففى الأندلس بعد ثمانية قرون من الزمان غاب دور المرأة المسلمة عن الميدان، فهزم العرب فى سان تولوز، بعد أن كانت راية الإسلام حفاقة هناك، ويعللون ذلك أن الفاتحين والأبطال ذابوا تدريجياً بالزواج من نساء الشمال الأفريقى ثم نساء الأسبان فذابت الشخصية المسلمة رويداً رويدا وفترت عزائم الرجال، وهكذا يظل للمرأة المسلمة دورها الرائد المنشود فى التغيير المأمول إلى الأمام لبنى جنسها ابتداء، ثم للرجال انتهاء فهى دائماً اقرب

الناس إلى الرجل، وتستطيع بمنهاج أمثل تطوير السلوك الطالح إلى الصالح، فهى غيورة على دينها كما تغار على زوجها، ودورها لا يزال شاغراً فى مواقع التأثير السلوكى سيما فى المنتديات التى يغشاها أبناء المترفين المولعون بالقشور من التقاليد.

والمرأة عندنا نصف المجتمع لا بل هى كل المجتمع، فهى الأم الحانية والأبنة الكريمة والأخت الودوة والزوجة الصالحة، والحفيدة المأمول على يديها الخير، ومع التفقه فى الدين تكون التقاليد مدحورة وذلك بتحصين أبنائها وإعداد فتاتها حتى لا يتاجر بها مع صديقاتها، ورصد الأشرار فهم مرتع الخبيث، وغربلة الأصدقاء، فالدعوة للسلوكيات فن وأسلوب واحتواء وحب، والكلام اللين يخرج الحية من جحورها، والإسلام كرمها فاليوم هى تكرمه، وهنا تقدم لنا أجزل عطية أو هدية بالقدوة السلوكية والهيمنة الفكرية على الأخريات سيما المأزومات، وحينئذ تفوز بمرتبة الشرف فى الدنيا ومنازل الشهداء فى الدار الآخرة، وحقاً ما يقولون: أعطنى أما مسلمة فى كل بيت لا أعدكم فقط أن تكسر الأقلام التى ترنو إلى الغير بإعجاب، بل أعدكم ألا توجد تلك الأقلام أصلاً، وتلك نصيحة داعى الدعاة الشيخ محمد الغزالى.

لتعلم علم اليقين أن الأجانب الوافدين لديار الإسلام ينظرون إليها باعجاب ولكن من طرف خفى فاعملوا على مكانتكم.

١- ومصمموا الأزياء أين رداؤكم العصرى :

أين العباءة الأنيقة العصرية فى المدائن العربية؟ أين الجلباب الذى لا يصف ولا يشف كما ورد فى ديننا، محلات الأزياء الإسلامية

نادرة فى البلاد الغربية، وتعثر المسلمة عليها بصعوبة، إن أزياء الشرفاء لا تخضع للموضة، هذا ما يقوله المفكر الأديب أنيس منصور[1]، نعم أنه رأى موحد فى كل العصور، لأنه تعبير عن القيم والفضائل وهى بدورها لا تخضع للموضة، فهل يتغير الكرم أو يتبدل الوفاء بدعوى التجديد، كذلك لباس المرأة الفاضلة. وأبلغ دليل على ذلك زى الراهبة ما أصابه التطوير أو التبديل، لأنه يعكس بعض ما أوتى النبيون من ربهم، وأولى لنا ثم أولى نحن المسلمين، فنحن نعظم حرمات الله الذى استضافنا فى كونه الفسيح، فمن السفاهة ألا نعترف بالجميل، الرداء الإسلامى دوره خطير فى إنحسار التعرى وجذب الحيارى السالكين مسالك التيه.

وهذه "حايقة خان" الأوروبية التى اعتنقت الإسلام وارتدت زيه وتزوجت لاعب الكراتية الشهير "عمران خان" تقول فى عبارة وجيزة: "إن الإسلام لا يحط من قدر المرأة، بل يحبذ وحدة العائلة ويشجع الترابط، وإرتداء الزى الإسلامى أكثر أناقة من غيره، وسعادة المرأة الغربية رهينة بدخولها فى النوادى الليلية وتناول ما طاب لها من المشروبات الكحولية وإرتداء الثياب الشفافة التى تظهر أكثر مما تخفى. وتحرير المرأة لا يعنى التحرر من زيها، فليس فى العالم كله نظام واحد يحبذ المرأة عارية أو شبه عارية فى الطريق العام، حتى فى النظم العلمانية الغربية فهى تخشى أن تتحول إلى فريسة ضعيفة أمام ذئاب البشر.

---

(١) الأهرام فى ٢٢ / ١٢ / ٢٠٠٠ .

ومن ناحية أخرى فإن النساء يرفضن هذا التعرى، فالمرأة التى تكشف عن مفاتنها لأزواج الأخريات لا ترضاه الأخريات.

والغرب المتحضر لم يتقدم يوم تبرجت النساء، وإنما لأنه أخذ الكتاب بقوة وطبق كل إيجابياتنا سيما أول كلمة نزلت فى قرآننا " اقرأ " وما تلاها، ولم يقل فلاسفة الغرب من ناحية أخرى أن احتشام الراهبات معادى للتقدم.

٢- التبرج والشخصية : [١]

هل التبرج علامة على رقى أو تقدم أو قوة فى الشخصية ؟

إن كشف عورات النساء لا يحرز نصراً ولا يجلب سبقاً ولا ينفع مجتمعاً، هل كان التبرج سبباً للنهضة الصناعية فى أوروبا شرقها وغربها؟.

هاكم أوربا نفسها فى عزها ومجدها إلى عهد ليس ببعيد كانت تنكر المنكر وتعرف المعروف، فلقد باركت محكمة النقض الفرنسية حكماً صادراً من المحاكم الفرنسية قضى بتأييد قرار إدارى أصدره مدير البلدية فى إحدى المدن، حظر ارتداء النساء ملابس الرجال والظهور بها فى المجتمع أمام أعين الناس[٢].

ولكن المجتمع الغربى تردى بعد ذلك فيما تردى فيه. إن سر تقدم المجتمع الأوروبى هو العلم وليس التقليد فى السلوكيات، هو العلم الذى دعا إليه القرآن الكريم واستهل الله قرآنه به.

---

(١) راجع مؤلفنا : حرية الفكر وترشيد الواقع الإسلامى ص ١٠٨

(٢) راجع مؤلفنا: القانون الإدارى بالاشتراك مع الأستاذ الدكتور محمد رفعت عبد الوهاب ص ١٤١ .

لقد تناست المسلمة أن التبرج غريب على المجتمعات الإسلامية، فلكل مجتمع خصائص تميزه وأولاها الزى سيما زى النساء. إن القرآن الكريم يأمر نساء المسلمين جميعاً أن " **يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين**" فالزى الإسلامى للمرأة وجاهة ووضاءة وحماية فى آن واحد. وكم جر التبرج على الفتيات من جرائم الاغتصاب ؟!.

ومن عجيب الأمور أننا نرى الراهبة فى أوروبا ترتدى زياً متأنقاً يستر البدن ولا يكشف إلا عن الوجه والكفين ولا تكشف عن ساقيها، رداؤها يحجب كل نظرة خبيثة؛ وهى لذلك موضع احترام وتبجيل، ولم يستنكر أحد زيها أو يطالب منها التحرر خشية الاتهام بالرجعية.

لماذا أضحى الفكر عندنا كليلاً بعدما أثخنه الغزو الفكرى بجراحه؟ فكثير من ضعاف الحاسة الإسلامية لا ينظرون إلى الزى الإسلامى إلا نظرة جحود وكأن أجدادهم من أصل أوروبى.

إن المعاصرة لا تعنى الحرية فى الانفلات، الحرية التى تدفع بها إلى المكروه، فحضارتنا الشامخة على خلاف المدنية الغربية لا تقف عند الجوانب المادية وحدها وإنما هى تعنى بالجوهر والمظهر معاً دون إهدار لإحداهما. [1]

ليكن معلوماً أن تطور الغرب صادف منهج الإسلام فى حملته، وإن كانوا الآن قد خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً، فصارت حضارتهم تتعرض لزلات وهزات وأزمات، بعد تراجع القيم رويداً رويداً.

---

(١) عبله الكحلاوى- الأهرام ٢٠٠٢/٦/٢٥

٣- ناصحة غربية أمينة لامرأتنا العربية المسلمة :

أين خصوصياتكم "امنعوا الاختلاط وقيدوا حرية المرأة" قالت الصحيفة هيلسيان وهى صحفية تراسل أكثر من (٢٥٠) صحيفة أمريكية، ولها مقال يومى يقرؤه الملايين، ويتناول مشاكل الشباب تحت سن العشرين، وعملت فى الإذاعة والتليفزيون والصحافة أكثر من عشرين عاما، وزارت جميع بلاد العالم وهى فى الخامسة والخمسين من عمرها، تقول الصحيفة الأمريكية بعد أن أمضت شهرا فى مصر، الجمهورية العربية: إن المجتمع العربى مجتمع كامل وسليم، ومن الخليق بهذا المجتمع أن يتمسك بتقاليده التى تقيد الفتاة والشاب فى حدود المعقول، وهذا المجتمع مختلف عن المجتمع الأوروبى والأمريكى. فعندكم تقاليد موروثة تحتم تقييد المرأة، وتحتم أكثر من ذلك عدم الإباحية الغربية التى تهدد اليوم المجتمع الغربى، على الفتاة الصغيرة – وأقصد ما تحت العشرين – هذه القيود صالحة ونافعة – لهذا أنصح بأن تتمسكوا بتقاليدكم وأخلاقكم وامنعوا الاختلاط وقيدوا حرية الفتاة، بل ارجعوا إلى عصر الحجاب، فهذا خير لكم من إباحية وانطلاق ومجون أوروبا وأمريكا، امنعوا الاختلاط قبل سن العشرين، فلقد عانينا فى أمريكا الكثير حتى أصبح مجتمعنا معقدا مليئا بكل صور الإباحية والخلاعة، وإن ضحايا الاختلاط والحرية قبل سن العشرين يملأون السجون والأرصفة والبارات والبيوت السرية، فهل من مدكر، لقد جعلت منهم عصابات أحداث وعصابات " جيمس دين " [١].

---

(١) مكانك تحمدى ، لأحمد جمال ص١٢٩ مشار إليه فى عبد الله الشبانه (مرجع سابق) ص١٦٥

نعم لقد كان دين القيمة أحرص على شرف الفتاة ذات الطباع السليمة، وجعل لها كرامة لا تنال من حريتها وعزتها بل تعززها؛ فلها الحق كل الحق فى أن تخرج إلى أى مكان تشاء للسياحة والسفر لترتاد المجهول ولكن مع عاصم لها، يدرأ عنها ذئاب البشر، فيحفظ عليها كبرياءها سر قوتها وسعادتها، لا يمسها سوء من جراء ما يحدث عادة عند البعد عن الأهل من تآلف وتقارب وتجاذب من عمل الشيطان، ويكفينا هنا أن نقول للقائلين بالتطور والتحرر ألا يجرؤها هذا الاختلاط على زوج المستقبل وشريك الحياة، ذلك الذى يحلم بعفيفة شريفة مصونة لم تمس كأنها بيض مكنون.

ألم تقل " مارلين مونرو " الممثلة الأمريكية التى طبقت شهرتها الآفاق والتى انتحرت فجأة فى لحظة إحساس مرير بالتعاسة كأنثى طبيعية وكأم – ألم تقل فى الرسالة التى وجهتها إلى فتاة تطلب نصيحتها "احذرى المجد احذرى كل من يخدعك بالأضواء، أنى اتعس امرأة على هذه الأرض، لم أستطيع أن أكون أما، لقد كنت أفضل البيت والحياة العائلية الشريفة على كل شئ، إن سعادة المرأة الحقيقية فى الحياة الزوجية الطاهرة التى هى رمز سعادة الأنثى بل الإنسانية، لقد ظلمنى كل الناس وجعل العمل فى السينما منى سلعه رخيصة مهما نلت من السمعة والشهرة الزائفة".

٤- غربيات ممتعضات من تقليد المرأة الشرقية :

فى جريدة الأهرام فى ٢٧ مارس ١٩٦٢ جاء فى باب: **مع المرأة** هذا العنوان " **المرأة الغربية غير راضية عن تقليد المرأة**

الشرقية لها" وجاء تحت هذا العنوان : اهتمام المرأة العربية بالمرأة الغربية وحرصها على تقليدها في تصرفاتها وفي طباعها لا تستسيغه السائحات الغربيات اللاتي يحضرن لزيارة القاهرة ولا يرفع من سمعتها في الخارج كما تظن، أفصحت عن ذلك صحفية إنكليزية زارت القاهرة أخيراً وكتبت مقالاً في مجلتها تقول فيه(١) :

لقد صدمت جداً بنزولي أرض المطار فقد كنت أتصور أنني سأقابل المرأة الشرقية بمعنى الكلمة.. ولكنني لم أجد شيئاً من هذا فالمرأة هنا هي نفسها المرأة التي تجدها عندما تنزل أي مطار أوروبي، فالأزياء هي نفسها بالحرف الواحد وتسريحات الشعر هي نفسها والمكياج هو نفسه حتى طريقة الكلام والمشي وبعض الأحيان اللغة إما الفرنسية أو الإنجليزية، وقد صدمني من المرأة الشرقية أنها تصورت أن التمدن والتحضر هو تقليد المرأة الغربية.

وتقول **فابيان عارضة الأزياء المشهورة** : لولا فضل الله على ورحمته بي لضاعت حياتي في عالم ينحدر فيه الإنسان ليصبح مجرد حيوان كل همه إشباع رغباته وغرائزه بلا قيم ولا مبادئ.

وصحفية فرنسية تقول : وجدت المرأة العربية المسلمة محترمة ومعززة داخل بيتها أكثر من الأوروبية، واعتقد أن الزوجة والأم تعيشان بسعادة تفوق عادتنا، وتقول للمرأة المسلمة ناصحة لها لا تأخذي من العائلة الأوروبية مثلها لأن عائلتها هي نموذج رديء لا يصلح مثالاً يحتذى به. (٢)

---

(١) الأهرام في ٢٧ مارس ١٩٦٢م، راجع فقه السنة لسيد سابق، ١٣٩/٢ .
(٢) من وحي الواقع، محمد ناصر العريني ص ٤٤

openkanal.com

٥- خذوا حذركم من الاختلاط فى الدواوين وغرام الموظفين:

هذه رسالة بعث بها زوج غيور إلى أطباء النفس حملتها جريدة الأهرام فى ٢٠٠٢/٧/٥ يقول فيها: تثور زوجتى بحدة وتنقلب حياتها جحيماً إذا اعترضت على اتصال زملائها فى العمل بها فى البيت فى أى وقت لأمور تتعلق بالعمل فما هو قولكم دام فضلكم ؟ وكانت الإجابة للدكتور عادل صادق "إن البيت له حرمة، ولكن لا داعى لاستخدام العنف فى حل المشاكل الزوجية".

الاختلاط بين الجنسين أمر واقع وليس له دافع، فهو من ضغوط العصر، والمرأة المسلمة كانت حاضرة فى كل مجالات العمل العام فى العهد النبوى، من المساجد ومجالس العلم إلى الغزو والجهاد مروراً بالأسواق والأعمال المهنية، كانت تتحرك فى تلك الدوائر كلها بمحاذاة الرجل، ولكن دون اختلاط يحيف بهما أو يجنى عليها، فمجتمع المسلمين ليس مجتمعاً تقوم فيه الحواجز بين النساء والرجال، ولكنه مختلط ملتزم بأحكام الفضيلة سلفا، فاللقاء بين الرجال والنساء جائز إذا كان لهدف نبيل كعلم نافع أو عمل صالح أو جهاد لازم، وعمل المرأة ليس محرماً كمبدأ عام.

ولكن الاختلاط فى الدواوين على النهج الغربى إثمه أكبر من نفعه، لأنه ينشأ علاقات ثانوية ثنائية بين الموظف وزميلته خارج الحدود المرسومة، ويستمتع بعضهم ببعض فى الحديث الأخاذ والود الكذاب، وتكون الفتنة فى أحيان كثيرة غير مأمونة العواقب، سيما حين تتحول الزمالة إلى صداقات وزيارات، ثم خلافات زوجية لا تجدى فيها المصالحات، وكل أولئك يقود إلى ما يسمى الضياع، نتيجة تسرب العلاقات العاطفية خارج دائرة الحياة الزوجية.

إن الاختلاط بغير سياج من الشرع الشريف أولى موبقاته أنه يجلب الإعجاب بغير الزوج، كأثر للأحاديث المتبادلة والفراغ الوظيفى أو البطالة المقنعة والساعات الطوال التى يقضونها فى المكاتب والتى ربما لا تتوافر للزوجين فى البيت سوياً، وكم ينجم عن ذلك فى نهاية المطاف من زلات ومشاجرات فى عش الزوجية ليس لها مبرر سوى الإعجاب الدفين الذى ولده التقليد فى القشور، أما الصالحات فلهن ألف عاصم وعاصم من دينهم، وهنا يقول رسول الله ﷺ." **ليس منا من خبب امرأة على زوجها**" بمعنى أفسدها عليه.

٦- اعتبروا يا أولى الألباب :

ماذا آل إليه تحرير المرأة فى الغرب ؟

الاختلاط المبكر فى الغرب هناك بلا حدود، أجاء بها من حيث لا تشعر إلى المتاجرة بها قبل الزواج، فحرمت من السعادة الحقة أمل الفتاة الخصيب، سيما إذا أنجبت طفلاً ينسب إليها لا إلى أبيه، ثم فتح لها باب الإجهاض مصيراً غامضاً محفوفاً بالمخاطر، وبالجملة فما ربحت تجارتها.

. ماذا كانت القطوف الدانية لها، وهى تعيش فى رغد العيش؟ أكذوبة أن يقال أنها تعيش فى سعادة، نعم هى تبتسم ولكنها ابتسامة مصطنعة أضاعت بيتها وخسرت أولادها وظلمت نفسها وعددت من أزواجها فى ظل الزواج التجريبى أو الانفصال الجسمانى.

لقد ضاعت منها فرصة الهناء العائلى بعد تقدم العمر، فالأوروبية اليوم لا تمت إلى مهمة الأمومة إلا فى عملية الإنجاب، ولقد

تفشى بينهم الطلاق والانفصال الجسمانى كما ألمحنا من قبل، وانحسرت حالات الزواج المدنى أو الدينى نتيجة الإباحية واتخاذ الأخدان وهى المعاشرة الزوجية بلا زواج، واقتلاع الحواجز بين الحلال والحرام فقل إنجاب الأولاد، حتى أن هناك دولاً أوروبية تترقب الشيخوخة المبكرة لقلة الإنجاب.

هرعت إلى ميدان العمل تسارع الرجل فيسابقها وهو أشد منها قوة، وما كسبت فى إيمانها خيراً، فالأمريكيون يتحرشون بزميلاتهم فى العمل استغلالا لعجزهن عن إثبات التهمة، والاعتداء على الموظفات زاد فى أوروبا نتيجة مشاركتها الرجل فى مكتبه فأصبحت هى الصاحب بالجنب، واعتداءات بالجملة سواء بالنظر أو باللفظ أو بالفعل من رؤسائهن، وحدث التفكك الأخلاقى مخيبا ظن الذين راهنوا على أنه لن يحدث فى ظل الإباحية. فهى تثور مع الثائرين على أصحاب المصانع والمتاجر ورؤوس الأموال مطالبة بتحسين ظروف الأداء، وبالجملة آل الحال إلى اعتبارها مساوية للرجل، وليس الذكر كالأنثى فعوملت بلا إحسان، وصارت تعمل فى المطاعم والحانات وفى الفنادق والأعمال الشاقة فى الشوارع حتى إنها قد تقضى فيها سحابة يومها أو جزء من ليلها.

لقد مضت قدماً فى طريق التحرر رويداً رويدا من زيها والاهتمام بقدها وقوامها المائل إلى النحافة وصارت تنفق على ذلك أكثر دخلها.

جاءت الريح بما لا تشتهى السفن، فعلى سبيل المثال وفى عام ١٩٩١م أصدرت بريطانيا قانوناً جديداً يعطى للطفل نفسه الحق فى أن

يختار بين أمه وأبيه، فالأم قد صارت تجد نفسها فى ذاتها، وذاتها فى عملها الذى يوفر لها الاستقلال المالى، وأصبح الزواج أشبه بحماقة يرتكبها أصحابها، والعقوبة تنفذ فى الأولاد كمجنى عليهم، وفى نظر المرأة الغربية أن تلك العقوبة يجب أن تصب على الزوج وحده، لذلك فهى تتفنن فى الهروب من رسالتها لترمى بها إلى الزوج، ولتكلفه مالا يطيق لو أختار الأولاد أباهم، تلكم بعض إفرازات المدنية الغربية فى شقها السلبى، نطرحها أمام المعجبين والمنبهرين، فبم إذن تبشرون؟[1]

٧- آية الستر تدرأ غوائل الاختلاط :

آية كريمة لعطاء يتجدد، تواكب كل عصر ومصر ترفع من قدر المرأة المسلمة إن شاءت أن يرتفع قدرها أمام كل بر فاجر ﴿**يَاأَيُّهَا النَّبِي قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ**﴾ [الأحزاب: ٥٩].

وقد ابتدأت الآية الكريمة بأمر النبى الكريم أن يوجه دعاءً ونداء إلى الأمة جمعاء للاعتصام بالدين وتعاليمه الرشيدة وبالأخص فى أمر اجتماعى خطير وهو الزى الإسلامى الذى يصون للمرأة كرامتها ويحميها من النظرات الجارحة والكلمات اللازعة والنوايا الخبيثة، لئلا تتعرض لأذى الفساق فهى مثل الزجاجة كسرها لا يجبر.[2]

فستر المحاسن والعورات لا يكون إلا عن طريق العباءة الفضفاضة أو الجلباب الواسع، وهكذا تتميز عن غيرها من النساء، وإلا فما الذى يميز المسلمة من غير المسلمة هل هو مجرد الإيمان الذى تكنه فى صدرها ؟

---

(١) أنيس منصور الأهرام ٢٢ / ٧ / ١٩٩٢م
(٢) تفسير الصابونى ج ٢، ص ٥٣٧

٨- الإسلام ليس أول من شرع الحجاب : (١)

يحرص الإسلام على التنبيه إلى دور الملابس والزى فى الحياة، سواء للذكر أم للأنثى، فالإسلام يرى أن المنطق هو فى اجتناب الإثارة إذا كانت لا مرحباً بها لدخولها فى دائرة الحرام.

ولقد خلق الغزو الثقافى كتاباً وفلاسفة زادهم ومعينهم إقصاء الدين وهم يدعون إلى الإسلام، يقولون زى المرأة لم يأمر به الإسلام ويفسرون آيات الله على هواهم. مع أن الإسلام ليس أول من شرع الحجاب، وإنما فرضته اليهودية والمسيحية، ومازال لليوم فى الكتاب المقدس. ومن المعروف أن اليهودى المتدين من حقه أن يطلق زوجته إذا ما غادرت بيتها عارية الرأس, وفى المسيحية يقول "بولس" أن المرأة التى تخرج عارية الرأس يجب أن يجز شعرها. ولبس الراهبات اليوم على ذلكم من الشاهدين، فهل يكون الاحتشام بعد ذلك ليس من الإسلام؟.

وأية الحجاب قد نزلت فى سورة النور وهى السورة الوحيدة فى القرآن التى تبدأ بقولها ﴿ **سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ** ﴾ [النور:١] وهى سورة مليئة بالفروض الدينية والتربوية والأخلاقية، أى كل ما هو وارد بها فرض لا اجتهاد فيه، وصدق الله العظيم ﴿ **ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ** ﴾ [الأحزاب: ٥٩].

---

(١) د. زينب عبد العزيز- مجلة نصف الدنيا المصرية فى ٢٧/٤/٢٠٠٣م.

obeikandi.com

الفرع الثالث
المسلمون وتصدير الرشد الأخلاقى

أولاً : المسلمون رواد المحاسن :

نعم هناك ما يسمى بالثقافة التصديرية، فما هو موقعنا وحظنا منها؟.

معلوم أن الحضارات تدين بوجودها إلى اختلاط الشعوب والثقافات الأخرى، والأوروبيون اليوم الناصحون منهم تشرئب قلوبهم إلى حكيم يتبعونه، وتتطلع جماهير غفيرة إلى العودة إلى رحاب العقيدة، مما جعل الكنيسة تعيد استثمار جاذبيتها الدينية لهم، ولكنها إن عاجلاً أو آجلاً كما يقول مراراً هوفمان :فى بحثها عن البديل الحق ستلتقى بالإسلام الصاعد نجمه [(1)]

نعم إن القيم الخلقية هى التى جعلت للإسلام دولة كبيرة فى مدة قصيرة، والعالم الإسلامى المترامى الأطراف لا يزال على علاته موئل العالم فى السلوك السوى، ولا يزال عالمنا محسوداً بما فيه من الشمائل الطيبة، وستظل لنا هذه المكانة مهما أشعرونا بالدونية أو فرض التعتيم على دورنا.

ولقد كان المسلمون الأوائل هم رسل المنهج التجريبى فى العصر العباسى، والذى استمدت منه دعائم النهضة الغربية فغبوا من حضارتنا، حتى أحدثوا تلك القدرة العلمية الخلاقة، بينما ظللنا نحن بلا حراك كمن هو كل على مولاه!!.

---

(١) مؤلفه، الإسلام كبديل ص ٢١

obeikandl.com

فالعلم العربى كان لــه أثره فى تطور العلم العالمى وكانوا يسرقون منا ولا يقولون. وللأسف فإن الأوروبيين هم الذين كتبوا التاريخ فزورا. إن الاعتداد بالذات يصنع المعجزات والشعور بالهوان يقتل الكفايات والكفاءات فهل أذن مؤذن بأن بنفض الغبار عنا، ويقف الغرب وأهله على محاسننا ويشيدوا بها؟.

إن الشرق دائماً هو الذى يقدم الارتقاء الصادق للإنسانية. وحضارة بابل دورها مرصود فى الارتقاء الحضارى، ولقد تتلمذت أوروبا على أيدى نوابغ علماء المسلمين فى مجالات الدين والدنيا، وكان حظهم من الأخيرة أوفى وأوفر، وكانوا وقتها فى بحور التيه والظلمات، واسألوا الحروب الصليبية عما نقله الصليبيون غداتها من العلوم والفنون والآداب، أو سرقوه من المخطوطات الإسلامية النادرة، وما كان لذلك من أثر فاعل فى تلقيح الحضارة الأوروبية، فإن النقلات الكبرى فى الارتقاء الحضارى كان عن طريق العلماء الموسوعيين الذين أنجبتهم ثقافتنا، كابن رشد وابن سينا والرازى وغيرهم.

ويوم تمرد إنسان الغرب على الدين قاده ذلك إلى الجحيم حتــى أوصله للانتحار، ومهما علا فى الأرض أو تجبر أو تكبر فهو فى حاجة ملحة إلى قبس من نور دين القيمة، وهنا ينطلــق " جــارودى المفكــر الإسلامى الغربى ليقرع أسماع أوروبا بأن الإسلام هو تاريخ المرحلــة المقبلة والأفق الجديد أو الجيد للفكر الإنسانى والسلوك المهدي، ولــولا التعتيم الإعلامى الذي يفرض علينا لأتى الإسلام أكله هناك؛ فالمسلمون هم أصحاب رساله خالدة فى كشف الظلمات عــن الإنســانية وتقــديم الجرعات الشافية لها، وقيادة الإنسانية نحو دائرة الضوء الربــاني؛ لأن

الناس كلماغرقوا فى الشهوات والأهواء كانت دعوة الباطل هى دعوة الحق، ودعوة الخير هى دعوة السوء وحينئذ تظهر الحاجة الماسة إلى دعوة الرسل، ولن يجدوا من دونها موئلاً.

إن العيب كل العيب ليس فى ديننا ولكن فى إهمال تطبيقنا، ولنتعلم براعمنا أن الطفرات الكبرى التى ارتقت بالإنسانية تمت على يد نوابغ علمائنا الموسوعيين.

يا أجيال الغد المأمول: إن الرحال تشد إلينا فى مجال فعل الخيرات وترك المنكرات والتكامل الأسرى والطهور الأخلاقى والهناء العائلى، فاعملوا على مكانتكم ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون.

فهذا هو **برنارد شو** المؤرخ العاملى والروائى الشهير يشهد بأن دين محمد ﷺ هو دعامة النظام العالمى لو شاءوا، تؤسس عليه مبادئ السلام وكل دعائم السعادة لبنى الإنسان، ويتابع القول فيقول: بأن محمداً (ﷺ) لو حكم العالم فى عصرنا لقدم لنا الجواب الكافى لمن سأل عن الدواء الشافى.

إن أخلاقنا يغذيها منهج سماوى لا أرضى، وعطاؤها موصول ما وصله الصالحون منا، حكاماً وشعوباً ولو كانوا أولو بقية، ولا ينال ذلك الشرف إلا كل شريف ذو معدن نفيس.

عقلاء الغرب متعطشين إلى سلوكياتنا:

نعم انتصر الغرب على الشيوعية بالفعل ولكنه يعانى اليوم من أوجاع تزداد حدتها يوماً بعد يوم، من سلوك معوج وتفشى الجريمة وتفكك الأسر نتاج ثقافة مشوهة وخيبة فى إعمال العقل بالبعد عن منهج السماء، ومن ثم يضحى الإسلام هو البديل المنتظر لهم.

هم اليوم فى شغل شاغل للبحث عن دين جيد أو سلوك أحمد بعدما خمدت مدنيتهم فى ساحة التوازن النفسى، وتقطعت أنفاسها فى إسعاد أهلها، بسبب الفلسفات التى بهرت أعين الناس كالوجودية والإلحادية والعدمية والرأسمالية والماركسية والشيوعية، ثم أوقعتهم فى التية حين ظهرت نتائجها فى سلوكيات هدامة، فهناك مثلاً فى مدينة **بطرسبرج** جمعية إحياء ثقافة الانتحار، ومن شروط العضوية أن يكون المليونير من الساعين بجدية إلى الانتحار، وأن يكون من الأذكياء فلا ينفذ قراره إلا استناداً إلى أعلى مستويات الرشد العقلى، وهذا محام أمريكى شاب يدافع عن فتى قتل جارة عجوز طمعاً فى مالها، وقد تمت الجريمة أثر عودة الشاب من مشاهدة فيلم سينمائى بهذا المعنى، وأثناء المحاكمة طلب المترافع عن المتهم أن يعتبر القاتل الحقيقى هو البطل الذى أدى الدور على الشاشة، فأدى المتهم دوره ببراعة كذابة بدافع تقليد الأبطال.

وغداة انهيار الشيوعية وغروب شمسها، صاروا ينقبون عن مذهب يؤمنهم من خوف المجهول، ليذهب عنهم العطش الروحى.

وأمريكا بدورها دولة قد توخشت كما يقول **جورج كينان** من أكابر مفكريها، وعدت أشعر فيها بالغربة، والمستقبل على كل حال ليس لصالح دولة واحدة عملاقة[١].

فالمدنية الغربية رغم تفوقها فى العلوم والتكنولوجيا تعانى من كبوة حضارية يرصدها النابهون منهم، بسبب ما حملت من أنجاس الفكر، وقد أرادت الطيران بجناح المادة فسقطت، وفشلت النظم

---

(١) الأهرام فى ١٩/٤/١٩٩٣م

obeikandi.com

الوضعية فى تحقيق الرخاء الاقتصادى للشعوب، فعدالة الشيوعيين سراب خادع، والرأسمالية أناخت عليهم بالتضخم والركود والبطالة وانقسم المجتمع هناك إلى أحزاب يلعن بعضها بعضا [1].

ألا يكون قد أذن مؤذن بتصدير رشدنا الأخلاقى إزاء هذا التردى السلوكى، فمشروعنا الإسلامى يقدم لهم عسلاً مصفى سائغاً شرابه، وهناك إقبال متزايد للأمريكيين على اعتناق الإسلام، ولن يمضى نصف قرن حتى يكون الانتماء الأكبر للإسلام[2] ولسان حال المسلمات الجدد اليوم: أسلمت فعرفت معنى السعادة، وارتديت الحجاب فشعرت بالاحترام.

فالعالم اليوم تربة خصبة ينتظر بشغف بالغ طيب الأعراف سيما بعد إفلاس عقائد الغرب فى الوفاء بحاجة الإنسان لبعدها عن منهج السماء وما أوتى النبيون من ربهم.

إن الاعتداء على أعراض النساء بالاغتصاب يتم بمعدل جريمة فى كل دقيقة حسب الإحصائيات الرسمية[3]، ترزح فيها الضحايا وخاصة تحت عبء تهديد الأزواج والأقارب بالضرب والإيذاء حتى القتل، وينفق (١٣) ملياراً سنوياً لإعالة أطفال السفاح والاغتصاب الذين يصلون أحياناً إلى ٧٠% من الولادات العامة، وهنا تقول إحدى الكاتبات الغربيات "ألا ليت بلادنا كبلاد المسلمين التى فيها الحشمة والعفاف والطهارة، وأنها لعار على بلاد الإنجليز أن تجعل بناتها مثلاً للرذائل بكثرة مخالطتهن للرجال، فذلك أضمن لعفافها وشرفها وأدعى لسعادتها".

---

(١) د. عبد الحميد البعلى ، الإيمان ملحق الأنباء الكويتية (٨٧٤٨).

(٢) رشدى فكار ، المسلمون ، العدد ٤٩٠

(٣) الأنباء الكويتية فى ١٨/١٠/١٩٩٩م.

وهذا هو "**هوفمان**" فى كتابة فساد الحياة الغربيـة[1] يقـول: إن أوروبا أصبحت أمله فى الإسلام، خلاصاً لها من أمراضها الخلقية التى تهدد حضارتها المادية، وأن أوروبا تحمل الإسلام فى أعماقها، وكم هى فى حاجة ماسة إلى جمهرة سلوكياته، ويضيف منبهراً بموقف المسـلم من الحضارة المعاصرة، بأن الالتزام الخلقى ديدنه، يسود حياة المسـلم أو المسلمة الوسط الإسلامي الحقيقى، فأنت لا ترى المداعبات الجنسية وتبادل القبلات ونحوها بين الرجال والنساء وعلناً، كذلك يرفض الإسلام الأدب الداعر المكشوف وأفلام الجنس والصور العاريـة ولا تمـارس المسلمة أساساً أى علاقة جنسية قبل الزواج, كما أن اللقطاء والأطفـال غير الشرعيين من الأشياء النادرة فى المجتمعات الإسلامية، والأغلـب والأعم أن الأبكار لا تفضى بكارتهن قبل الزواج، ولن تجد فى أى دولة إسلامية الإعلانات التى يطالب أصحابها بتبادل العلاقات الجنسية بـين الأزواج والزوجات فى مجموعات الجنس، وشواطئ العرى والـزواج اللواطى والجنسية المثلية، والسحاق بين المرأة والمرأة علناً، ولن تجـد المساكن المختلطة التى تعيش فيها الطلاب والطالبات معاً تحت سـقف واحد.

ثانياً : بوادر العصر الإسلامى الأوروبى :

المتفائلون من الدعاة يبشرون المؤمنين بـأن بـوادر النصـر والعصر الإسلامى الأوروبى قد لاحت فى الأفق[2].

---

(١) كان سفيراً فى الجزائر واعتنق الإسلام عام ١٩٨٠م (مجلة النور فى ١٩٩٢/٩/٨م) شهادة غربى على انهيار حضارة الغرب من خلال كتابة الإسلام هو الحل البديل، "أنور الجندي".

(٢) التبشير الحقيقى بدين الإسلام ، أما غيره من الأديان فبم إذن يبشرون.

وهاكم أية بينه على اختراق سنن الإسلام لأعتى التقاليد الغربية، فالطلاق أصبح الآن مقننا فى بلاد الغرب بعد أن كان محظوراً، فقد أعلنت روما تمردها عى الكنيسة الغربية فى عقر دارها فى صدد أبغض الحلال، لتؤكد حتمية الحل الربانى للمشاكل المتراكمة والمتفاقمة فكاكاً من زوج بغيض أو زواج فاشل، لأن الزوج انحرف وتدهورت أخلاق النساء سيما مع الانفصال الجسمانى بين الزوجين سنين عدداً، والذى تفرضه الكنيسة تحله لمشاكلهم بديلاً عن الطلاق، وهو بديل مترنح.

وتتعالى اليوم صيحات مدوية من النساء فى أمريكا سيما المثقفات بوجه خاص بضرورة اقتباس نظام تعدد الزوجات، ليكون عاصماً للزوج من تعدد الخليلات، بل أتت لنا مجلة اللواء الإسلامى بإحصاء رسمى فى المناطق الغربية فى الولايات المتحدة الأمريكية بانه هناك أكثر من خمسين ألف رجل متزوج بأكثر من سيدة، وأن النسوة يطالبن أولى الأمر بإصدار تشريع يواكب الواقع الهادر المتطور.

وفى اليابان تعديلات طرأت على قانون الزواج يسمح للمطلقة أن تقترن بزوج آخر بعد مرور مائة يوم على طلاقها بدلاً من ستة أشهر، وهو اقتباس شبه كامل من أحكام الإسلام فى شأن عدة المطلقة.

وهناك اليوم فى أوروبا أصوات تدوى للمطالبة بعقود زواج موثقة ينص فيها على تفرغ المرأة لبيتها، انبثاقاً من سياسة مصارحة الذات، والاعتراف بالحق فضيلة، بعد ما أجهضتها المساواة اللاهثة بين الذكر والأنثى، فهذه الكاتبة الإنجليزية الشهيرة "آنا رورد" تقول: لأن تعمل بناتنا فى بيوتهن خوادم أو كالخوادم خير وأحب من اشتغالهن فى

الأعمال، وحيث تصبح البنت ملوثة بسلوكيات قد تذهب برونق حياتها إلى الأبد من كثرة مخالطتهن للرجال، نعم دخل الأسرة زاد لكن انخفض مستوى الأخلاق وكثر أولاد السفاح(١).

وأما عقوبة الإعدام فهى حكم الله، تعود إلى ساحتهم ليكون لهم فى القصاص حياة، وكانت بعض دول الغرب قد اتبعوا أهواءهم وظنوا أنها المدنية الحقة، ومرت السنون فقسى العتاة وغلظ البغاة وكثرت الضحايا وإذا بأولى الألباب يطالبون بحتمية الحل الإسلامى بعد ما نزل بساحتهم، وإعادة عقوبة الإعدام إلى مكانها ومكانتها وصدق الله العظيم **﴿ولكم فى القصاص حياة يأولى الألباب﴾** [البقرة:١٧٩].

واليوم يكاد ينعقد الإجماع بين خبراء الاقتصاد فى العالم على أن أمثل الحلول لعلاج الاقتصاد الفقير أو المترهل، تصفية شاملة للربا والعودة بسعر الفائدة إلى الصفر.

وهناك دول غير إسلامية شرعت فى تجريم ألعاب القمار لما تجلبه من العداوة والبغضاء والسوء والفحشاء، كالسرقة وقتل الأبوين أملاً فى مال يندفع به المقامر المغامر إلى الهاوية.

واليوم تتعلق الآمال فى ساحة المجتمع الأوروبى بأن تكون الولادة على يد قابلة، فلا ينكشف الطبيب على عورة المرأة، فنساء كثيرات تستحى من الطبيب حين تنكشف له عوراتها، فطرة الله التى فطر الناس عليها، فلا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن، وهو سلوك فطرى محمود لأن الرجل نفسه يستحى أن يرى سوأة أخيه، وقريباً من ذلك ما اعترف به المربون بفشل التعليم المختلط الذى يكون فيه البنين مع

---

(١) المسلمون العدد ٦٧ فى ١٩٩٧/١٢/٦م

البنات، بعد أن انكشف عوراته، أقلها تدنى مستوى الطلاب واستدراجهم للفسق المبكر.

وفى مجال الطب الإسلامى أقامت الحكومة فى هولندا معهداً للعلاج بشراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس، وذلك بعد أن نجحت التجارب التى أجريت عليه كشفاء من أمر الأدواء، وإن كنا عن دراسته لغافلين بسبب شعورنا بالدونية والتعتيم على الثقافة الإسلامية.

وفى أمريكا اليوم أنشأوا مدرسة متخصصة لنشر الوعى بين النساء بضرورة الرضاعة الطبيعية التى أسس بيناها قرآننا الكريم الذى يهدى إلى الرشد **﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾** [البقرة: ٢٣٣]، محذرين من خطورة الأغذية البديلة التى أثبت الأبحاث العلمية أنها سبب مباشر فى خفض معدل الذكاء عند الأطفال، ويخشى لو استمر ذلك مستقبلاً أن يصبح فى أمريكا شعب من الأغبياء [١]

وفى أمريكا أسسوا بنياناً للعلاج بالصيام الإسلامى، كما كتب العالم المدعو "**ماك فادن**" كتاباً عن الصوم فصله على علم، وقال فيه بالحرف الواحد: إن الصوم يصفى الجسم من رواسب السموم المختلفة عن الأطعمة والأشربة، وهو دواء باهر السحر لأمراض المعدة ومن أصدق من الله قيلاً **﴿وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ﴾** [البقرة: ٨٤] [٢].

أما فى مجال السياسة وأنظمة الحكم فهى تنتهج عادة بلوغ أربعين سنة كشرط لتولى مقاليد الحكم والسياسة فى المناصب المهمة

---

(١) الأهرام فى ٢٠٠٣/٨/٨ جيهان الغرباوى
(٢) اللواء الإسلامى ١٣ شوال ٤٤١ هـ

والعامة، كرئاسة الدول وعضوية البرلمان أو مناصب القضاء الكبرى، كمؤشر على النضج العقلي وهو من إعجاز القرآن حيث يقول العزيز الحكيم: ﴿ حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً.. ﴾ [الأحقاف: ١٥].

والنظام السياسي في الولايات المتحدة الأمريكية مأخوذ في جوهره من نظام الخلافة الإسلامية، حيث يسوس هناك رئيس واحد مع تعدد الحكومات في الأمصار. وقد وجدت نسخ من القرآن الكريم وتفسيره لدى **جيفرسون** مؤسس الولايات في مكتبه، ولا غرابة حينئذ أن يولد الدستور الأمريكي عملاقاً ينص مثلاً على حرية العقيدة الدينية، ولذلك تنفرد الولايات المتحدة باحترام العقائد الدينية وممارسة شعائرها، وتتميز عن كل دول الغرب في هذا الشأن والتي لا تزال مترديـة، إذ تضنن على طالبة مسلمة أجنبية في المدارس الثانوية تغطي شعرها بغطاء كما تفعل الراهبة ولو كان الشتاء قارصاً، على الرغم من أن دساتيرهم منمقة في نصوصها!!.

ثالثاً : أليس الغرب قلدنا من قبل :

الحضارة أخذ وعطاء، وها هو الغرب في عصرنا عاكف على استيراد عقولنا المهاجرة، ليؤسس هناك تلك الحضارة الزاهرة.

ولا غرابة في ذلك، فقد نحن صناع مجد ورواد حضارة، وفي وقت كانت تسود أوروبا ظلمات بعضها فوق بعض في عصورهم الوسطى.

فلولا التراث العربي الإسلامي في صقلية والأندلس لما كانت ثقافة ولا حضارة أوروبية، وفضل العرب والمسلمين شاهد ومشهود في

كل المجالات، فمثلاً فى الرياضيات، كانت عبقرية الصفر الذى اخترعه المسلمون، ولولاه لما كانت هناك نهضة علمية ولـم يكـن للكمبيـوتر وجود، تراث وميراث ضخم للبشرية أقيم على حرية الفكـر والكلمـة والمناظرة التى يحض عليها ديننا حضاً حثيثاً.

ولقد نهلت الحضارة الغربية من علم علمائنا كابن رشد، فكـان مؤثراً فى صرح النهضة الأوروبية، ولا يجحد ذلـك حتـى الخصـيم المبين، فلم تبدأ النهضة الأوروبية فى القرن الحـادى عشـر إلا بعـد ترجمة كل ما وصل إليه المسلمون.

ولقد ورث الغرب عن المسلمين أسس البحث العلمى ونظرياته، وكما ورثوا عنهم علوم الرياضة والمنطق والفيزياء، بل تأثر كثير من علماء الغرب فى مجال اللغة والمنطـق والقـانون والتـاريخ والقـيم والأخلاق، والتى راجت فى الأندلس ثم تسربت منها إلى أوروبا (١).

وهاهو **"جوزيف فـان"** أحـد المستشـرقين الثقـات والأسـتاذ بالجامعات الألمانية يكتب شهادتهم متحدثاً بإنصاف عن تأثير الإسـلام فى التعليم فى أوروبا فيقول: "إن المسجد كان يشتمل على عدة أنشطة، منها تعليم الطلبة بالمشافهة، وجعل الطلاب يستمعون لمعلمهم ويحفظون عنه، وأخذ الغرب من المسجد لفظ "مستمع" والمدرس "قارئ" وقد أخذوا لفظ "الإجازة" من العرب، وهو الليسانس، وكان يخلعها الشـيخ علـى الطالب الذى تعلم منه وأتقن العلم، الأمر الذى يجيز له أن يتبوأ تعلـيم الآخرين.

---

(١) د. جعفر عبد السلام، أثر الحضارة العربية والإسلامية على الغرب، الأهرام فى ٢٠٠٣/١١/١٠م.

ومما نفاخر به ويكتب لنا ما أورده قاموس "المورد" على مدى (٣٢) صفحة من كلمات عربية انخرطت في الإنجليزية، ويعاد تصديرها اليوم إلينا على أنها صنعت في الغرب، فلغتنا هي تاج العلاء وفي أحشائها الدر كامن، وهي سيدة لغات العالمين.

والكنائس هناك في إيطاليا شيدت على نهج الطراز المعماري الإسلامي [1].

وإذ كان تاريخ تعليم الدين الإسلامي خالياً وخاوياً من الكهنوت ذلك الذي خيم على أوروبا في ذلك الوقت وما فيه من تعتيم، فالإنسان حر داخل المسجد في أن يعلم أو يتعلم ما يشاء، وعلى يد من يشاء، وهذا هو جوهر نظام التعليم العصري السائد في الجامعات الأمريكية - نظام الساعات المعتمدة الذي يفاخرون به على العالمين.

كما اقتبسوا منا نظام الأستاذ الزائر المعروف في الجامعات، فعندما بدأ المسلمون جمع وحفظ أحاديث الرسول ﷺ وجدوا أن بعضها مشكوك فيه، فأرادوا أن يتحروا رشداً، فهموا بتنقية الأحاديث الصحيحة من الموضوعة، فكان نظام الرواية عن طريق السند القوي المتصل والفحص الدقيق، مما دعاهم إلى الترحال في الأمصار لجمع الأحاديث بدقة متناهية، وكانوا حين يطأون موطئاً، يرتادون بيوت الله حيث يتعلم الطلاب، ويتناقشون ويتحاورون ويعلمون، ومن هنا جاءت تسمية الأستاذ الزائر الذي عرفته جامعات الغرب بأسرها فيما بعد.

ونظام المعيد من عندنا، فكان الدرس يعاد عن طريق المعيد إذا كان عدد المستمعين للأستاذ كثار، وقد لا يصل حينئذ صوته إليهم.

---

(١) محمود الشيخ، الأنباء الكويتية، ملحق الإيمان في ٢٤ محرم ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠/٤/٨م

وفكرة المراجع مستعارة بدورها من العرب والمسلمين، انتقلت إليهم في العصر الوسيط، فعلى الرغم من شيوع ظاهرة الرواية الشفهية، وقراءة الأستاذ لكتبه المؤلفة على أسماع مريديه، إلا أنه كان يرجع إلى مراجعه، ولا ينكر أحد ذلك الكم المتراكم من الكتب القيمة التى صنفها الراسخون فى العلم، وفى اللغة وفى فروع المعرفة الأخرى، والتى انتفع بها من جاءوا بعدهم من علماء الغرب، فغمرت عقولهم وقلوبهم، ومكتبات أوروبا على ذلكم من الشاهدين لنا لا علينا.

حتى فيما يتعلق بزى أساتذة الجامعات، فإن الروب الجامعى الذى يتحلى ويتجلى به الأساتذة فى الجامعات الغربية مستعار من علماء المسلمين، فلقد كانت العباءة الفضفاضة هى زى العلماء فى الأندلس، وكانت القبعة التى تغطى الرأس مربعة فى شكلها وكان يتحلى بها الخريج يومئذ يوم تخرجه من جامعة قرطبة، كما كان الخريج عبداً شكوراً يضع فى مفرق رأس كتاب الله من فوقها تشريفاً وتعظيماً وآية بينة على تمام النعمة.

وناطحات السحاب اختراع عربى :

فاليمن كانت أول دولة تعرف ناطحات السحاب، وهى إلى اليوم خير شاهد على شموخ الحضارة العربية والإسلامية، وحين كنت معاراً إلى اليمن للتدريس بجامعاتها كنا نمسك بالسحاب هناك فى أعالى الجبال، وما عليك إلا تنزل فى إحدى الفنادق السياحية لترى مر السحاب، وهو ينزل بدوره فى تلك الفنادق.

فهل ناطحات السحاب فى أمريكا حقاً تناطح السحاب ؟

وأخيراً الديموقراطية الغربية المزدهرة عندهم تدين لنا بفكرة "التعددية" التى استلهموها من نظام "الملل" الذى قننته الدولة العثمانية،

ويعطى لكل أصحاب الملل حريات مبهرة، مع أن الغرب قد استغلها لتوجيه طعنات موجعة إلى الدولة العثمانية، والأبحاث الأوروبية والأمريكية المعاصرة منها ما يحق الحق، فتحيل إلى نظام الملل الإسلامى آنف البيان على أنه النموذج الذى سرت من خلاله فكرة التعددية إليهم [١].

obeikandl.com

(١) فهمى هويدى الأقليات وكتاب التفكيك.

obeikandl.com

الخاتمة

إذا كانت أمتنا قد صارت مهددة بخطر الذوبان أو الاقتلاع والابتلاع، فإن استئصال الداء ليس علينا بعزيز، فهو أحياناً مما عملت أيدينا ونحن نملك ثقافة بناءة ينبوعها القرآن الكريم الذى يهدى إلى الرشد، ورصيداً هائلاً من المصلحين وصالح المؤمنين، ورجالاً كثيراً ونساءً معقود عليهم الأمل فى نثر ونشر أحمد السلوك وكيفية الاعتداد بالذات الإسلامية.

بل إن المسلمين أمامهم فرصة كبرى لاستئناف دورهم فى التاريخ ليتبوءوا مقعدهم الذى كان لهم ولا يزال شاغراً فى إمداد الأمم والشعوب بطيب الأعراف، فالإسلام هو سفينة النجاة عند طوفان أو طغيان الشذوذات المسلكية.

على أن الخيرية التى نعت الله بها هذه الأمة ليست خيرية عنصرية كما هو الشأن عند أصحاب الملل الأخرى، وإنما هي خيرية ترتبط بدورها فى الاضطلاع بأرشد السلوك، وحين تأتى لحظة الاختيار فلن تختار البشرية إلا الإسلام، فهو القادر وحده على أن يضئ العالم بنوره وأحمد سلوكه، وإن الله قد ربى نبيه محمداً ﷺ، ومحمد رسول الله ﷺ قد ربى العرب، والعرب بعد ذلك قد استضاء العالم بنورهم، فكل مؤمن أو مؤمنة رسل لرسول الله ﷺ رحمة مهداه لغيرهم من شعوب الأرض إذا تعارفوا.

opelkan.com